

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله محمد ﷺ
أما بعد

فإن مؤلف هذه الرسالة هو الإمام شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن تیمیة ، وهو من أعلام هذه الأمة ، وهو أكبر من أن يترجم له في مثل هذا التقديم ، لكن هذا لا يمنعنا من ذكر كلمة موجزة في هذا الصدد .

وُلِدَ أبو العباس أحمد بن تیمیة عام ٦٦١ هـ ببلدة حران في الشام ، وهو من أسرة شغوفة بالعلم ؛ فأبوه كان من أعيان الحنابلة وجده كان من الحفاظ الأعلام . ومما ألفه جده كتابه « منتقى الأخبار » والذي شرحه الشوكاني في كتابه « نيل الأوطار » .

وقد أوتي ابن تیمیة ذكاء وحفظاً ؛ فحصل كثيراً من العلوم الشرعية وغيرها في زمن يسير ، وقد وُجِدَ ابن تیمیة في عصر كثرت فيه البدع والشركيات . وانتشرت فيه المقالات المخالفة لمقالات أهل السنة والجماعة عند كثير من علماء عصره والقضاة والمفتين ، فنافح عن مذهب أهل السنة والجماعة ، وجاهد في سبيل هدم الشرك وإماتة البدعة ؛ مما عرضه لمناعب جمة ، حتى قاده ذلك إلى السجن أكثر من مرة - وهذا وذاك لا يزيد إلا إصراراً على التمسك بالحق والدعوة إليه - . وقد اتحد ضده كل أصحاب المقالات الباطلة ، والعقائد الفاسدة ، وعقدوا له أكثر من مجلس لمناقشته فيما يقول ، وكان يخرج منها منتصراً عليهم بفضل الله ، وكان يقول عن هؤلاء الأعداء جميعاً : ما يصنع أعدائي بي أنا جنتي وبستاني في صدري ، أينما ذهبتي فهي معي ، إن حبسوني فحبسي خلوة ، وإن أخرجوني من بلدي فخرجي سياحة ، وإن قتلوني فقتلي شهادة ، حقاً ماذا يفعل أعداء رجلٍ هذه صفاته ؟ !

وكما جاهد ابن تیمیة العدو الداخلي ، فقد جاهد العدو الخارجي ، الذي اعتدى على ديار الإسلام ؛ جاهد بنفسه وبفتاويه ، وقد كان لفتاويه بقتال الطائفة الممتنعة عن بعض شرائع الإسلام - حتى لو أقرت بالشهادتين - الأثر الكبير في إقدام المسلمين على قتال التتار ، الذين أظهروا الإسلام بأقوالهم وحكموا بغير شريعة الله ، وقال محمساً لهم على قتال أولئك القوم الذين أظهروا الإسلام بأقوالهم وامتنعوا عن الالتزام بشرائعه ، قال لهم « لو رأيتموني في هذا الجانب - بعني مع التتار - وعلى رأسي المصحف فاقتلوني » ، يعني بذلك أنه لا ينبغي لهم أن يتشككوا في قتال من

هذا حاله ، حتى لو كان في صفوفهم من هو مثل ابن تيمية .

هذا وقد ألف ابن تيمية كتباً ورسائل كثيرة تشهد باطلاعه الواسع ومعرفته التامة بكلام السلف الصالح ، وعلو كعبه في معرفة أقوال أئمة الفقهاء ، وتشهد أيضاً بتمسكه الكامل باتباع الدليل الصحيح وتقديمه على كل ما عداه من أقوال الناس .

وقد كان لابن تيمية أثر بالغ في معاصريه ، وفيمن جاء بعده ، ممن سلكوا سبيل أهل السنة والجماعة ، واتبعوا مذهب السلف الصالح . ومن تلاميذه المشهورين الحافظ ابن كثير ، والحافظ الذهبي ، والحافظ ابن القيم وهو أخصهم به .

توفي ابن تيمية رحمه الله عام ٧٢٨ هـ وهو في السجن بعد حياة حافلة بالدفاع عن الحق ومجاهدة الباطل ، فرحمه الله رحمة واسعة وأجزل له المثوبة والعطاء .

وأما هذه الرسالة التي نحققها ونعلق عليها فهي في بيان أن رسالة الرسول ﷺ عامة إلى الثقلين الإنس والجن ، وقد كادت أن تصفو هذه الرسالة للحديث عن الجن وأحكامهم ، فتحدث عن الجن ودخولها ، في بدن المصروع ، وأسباب دخولها ، وكيفية معالجة المصروع ، وبين الجائز منه والممنوع ، وبين كيف يحترز الإنسان من الشيطان ، وتكلم عن تصور الجن في أشكال شتى ، وعن حكم سؤالهم عن الأمور الغائبة ، وعن جواز كتابة شيء من ذكر الله ويغسل ويسقى للمريض وتكلم عن كثير من الأمور المتعلقة بهم كما سيراهم القارئ في هذه الرسالة ، وفي أثناء ذلك تكلم ابن تيمية - كعادته - عن كثير من مسائل الفقه والأصول .

وأما ما عملناه في هذه الرسالة ، فاعتمادنا في التحقيق على النسخة المطبوعة في الجزء التاسع عشر من مجموع الفتاوى ^(١) وقد تيسر لنا الاطلاع على كتاب « آكام

(١) اطلعت على النسخة التي طبعها محمد منير الدمشقي ، وقد تبين لي منها أنه هو وجامع مجموع الفتاوى .. قد نقلنا هذه الرسالة من أصل واحد ، وذلك لوجود أخطاء مشتركة بينهما ، كما أشرت إلى ذلك في موضعه ، وتمتاز طبعة مجموع الفتاوى بالدقة وعدم التصحيف ، كما تبين لي أن تسمية هذه الرسالة ، « إيضاح الدلالة في عموم الرسالة » إنما هو من عمل الشيخ محمد منير الدمشقي لأنه كما قال « بحث فلم أجد لها اسماً ، فسمّاها ، وقد زدت أنا على العنوان والتعريف بأحوال الجن لاشتمالها على ذلك .

المرجان في أحكام الجان» (٢) وقد نقل صاحبه الكثير من كلام ابن تيمية في هذه الرسالة وقابلنا بينهما ، واستطعنا تصحيح بعض المواضع المغلوطة في النسخة الأصلية .

وقد قمنا بتخريج الأحاديث التي ساقها المؤلف ولم يخرجها ، أما ما خرج هو فلم نزد على تخريجه شيئاً ، غير أننا راجعنا تخريجه لنتأكد أنه كما قال ، وقد تبين لنا - كما هو مذكور في موضعه - أن المؤلف كان أحياناً يتصرف في لفظ الحديث (٣) ، كما كان أحياناً يدمج أكثر من حديث في حديث واحد ويسوقه مساقاً واحداً ، وقد بينا ذلك بحمد الله ، ولعل الذي دفع المصنف إلى ذلك أنه لم يسق هذه الأحاديث مساق الرواية وإنما ساقها من أجل الاحتجاج .

وأيضاً فقد قمنا بالتعليق على بعض الأشياء التي رأينا أنه من الأوفق ألا تترك بغير تعليق .

ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه

محمد شاكر الشريف

(٢) نقل صاحب أكام المرجان الكثير من أقوال ابن تيمية في هذه الرسالة ولم يشر إليه ، وقد تبين لنا ذلك بالمقابلة بين النسختين ، ومما تجدر الإشارة إليه أن بعض من حقق أكام المرجان غير اسمه وسماه « غراشب وعجائب الجان » .

(٣) هناك بعض المخالفات اليسيرة جداً في لفظ بعض الحديث ، بين بعض كتب السنة وبين مذكره المصنف ، لم نشر إليها ، وذلك لعدم تأثيرها .

وقال شيخ الاسلام رحمه الله

فصل

يجب على الإنسان أن يعلم أن الله عز وجل أرسل محمداً ﷺ إلى جميع الثقلين : الإنس والجن^(٤)، وأوجب عليهم الإيمان به وبما جاء به وطاعته ، وأن

(٤) الجن نوع من المخلوقات المكلفة ، سموا بذلك لاستتارهم واختفائهم عن الأبصار ، تقول جن الشيء يجنّه جناً : ستره ، وكل شيء ستر عنك فقد جنّ عنك ، ومنه سمي الجنين أيضاً ، لاستتاره في بطن أمه ، ومنه الجنّ يقال للقبر وللكنف أيضاً وذلك لستره الميت ، ومنه الجنّان يقال للقلب وذلك لاستتاره في الصدر .

وقد اختلف في أصل الجن « فقيل إن أصلهم من ولد إبليس فمن كان منهم كافراً سمي شيطاناً وقيل إن الشياطين خاصة أولاد إبليس ومن عداهم ليسوا من ولده » (الفتح ٦ / ٢٤٤) قلت : وقد وردت نصوص استخدم فيها الجن بمعنى الشيطان وهذا كما قال ابن حجر : « يقوى أنهم نوع واحد من أصل واحد واختلف صنفه فمن كان كافراً سمي شيطاناً والا قيل له جنى » (الفتح ٦ / ٢٤٤) وقال معلقاً على حديث ابن عباس الذي فيه : « وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء » وذهبهم في مشارق الأرض ومغاربها لمعرفة سر ذلك ، واستماعهم لقراءة الرسول ﷺ ، وفي آخره « وأنزل الله على نبيه ﷺ » قل أوحى إلى أنه استمع نقر من الجن ﴿ قال ابن حجر معلقاً : « وفي الحديث إثبات وجود الشياطين والجن وأنهما لمسمى واحد ، وإنّما صاروا صنفين باعتبار الكفر والإيمان ، فلا يقال لمن آمن منهم إنه شيطان » (٨ / ٦٧٥ الفتح) وأما المادة التي خلقوا منها فهي « النار » قال تعالى « وخلق الجن من نار » والجن وإن كانوا مكلفين فليس تكليفهم مطابقاً لتكليف الإنس لما ثبت من أن الروث والعظم من طعام الجن ، وتناول الروث حرام على الإنس ، يقول ابن حجر « فهم مكلفون بالتوحيد وأركان الاسلام ، وأما ما عداه من الفروع فاختلف فيه لما ثبت من النهى عن الروث والعظم وأنهما زاد الجن » (الفتح ٦ / ٢٤٥) ويقول ابن تيمية : « الجن مأمورون بالاصول ، والفروع بحسبهم ، فإنهم ليسوا مثل الانس في الحد والحقيقة ، فلا يكون ما أمروا به ونهوا عنه مساوياً لما على الإنس في الحد ، لكنهم مشاركون الإنس في جنس التكليف بالأمر والنهى والتحليل والتحریم ، وهذا ما لم أعلم فيه نزاعاً بين المسلمين » (مجموع الفتاوى ٤ / ٢٣٣) والجن يتناكحون ويتناسلون ويأكلون ويشربون ، ولهم أسماء متعددة قال ابن عبد البر : الجن عند أهل الكلام والعلم باللسان على مراتب :

فإذا ذكروا الجن خالصاً قالوا : جنى فإن أرادوا أنه يسكن مع الناس قالوا : عامر والجمع عمار فإن كان ممن يعرض للصبيان قالوا : ارواح ، فإن خبت وتعزم فهو شيطان ، فإن زاد على ذلك فهو مارد ، فإن زاد على ذلك وقوى أمره قالوا عفريت والجمع عفازيت ، (أكام المرجان ٢١)

يحللوا ما حلل الله ورسوله ، ويحرموا ما حرم الله ورسوله ، وأن يوجبوا ما أوجبه الله ورسوله ، ويحبوا ما أحبه الله ورسوله ، ويكرهوا ما كرهه الله ورسوله ، وأن كل من قامت عليه الحجة برسالة محمد ﷺ من الإنس والجن فلم يؤمن به استحق عقاب الله تعالى ، كما يستحقه أمثاله من الكافرين الذين بُعث إليهم الرسول .

وهذا أصل متفق عليه بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان وأئمة المسلمين ، وسائر طوائف المسلمين : أهل السنة والجماعة ، وغيرهم ، رضي الله عنهم أجمعين . لم يخالف أحد من طوائف المسلمين في وجود الجن ولا في أن الله أرسل محمداً ﷺ إليهم . وجمهور طوائف الكفار على إثبات الجن ، أما أهل الكتاب من اليهود والنصارى فهم مقرون بهم كإقرار المسلمين ، وإن وجد فيهم من ينكر ذلك ، وكما يوجد في المسلمين من ينكر ذلك كما يوجد في طوائف المسلمين ، كالجهمية والمعتزلة من ينكر ذلك . وإن كان جمهور الطائفة وأئمتها مقرين بذلك .

وهذا لأن وجود الجن تواترت به أخبار الأنبياء تواتراً معلوماً بالاضرار ، ومعلوم بالاضرار أنهم أحياء عقلاء فاعلون بالإرادة ، بل مأمورون منهيون ، ليسوا صفات وأعراضاً قائمة بالانسان أو غيره كما يزعمه بعض الملاحدة ، فلما كان أمر الجن متواتراً عن الأنبياء تواتراً ظاهراً تعرفه العامة والخاصة لم يمكن طائفة كبيرة من طوائف المؤمنين بالرسول أن تنكرهم ، كما لم يمكن لطائفة كبيرة من الطوائف المؤمنين بالرسول إنكار الملائكة ، ولا إنكار معاد الأبدان ولا إنكار عبادة الله وحده لا شريك له ، ولا إنكار أن يرسل الله رسولا من الإنس إلى خلقه ، ونحو ذلك مما تواترت به الأخبار عن الأنبياء تواتراً تعرفه العامة والخاصة ، كما تواتر عند العامة والخاصة مجيء موسى إلى فرعون وغرق فرعون ، ومجيء المسيح إلى اليهود وعداوتهم له ، وظهور محمد ﷺ بمكة ، وهجرته إلى المدينة ، ومجيئه بالقرآن والشرائع الظاهرة ، وجنس الآيات الخارقة التي ظهرت على يديه ، كتكثير الطعام والشراب ، والإخبار بالغيوب الماضية والمستقبلية التي لا يعلمها بشر إلا بإعلام الله وغير ذلك .

ولهذا أمر الله رسوله ﷺ بسؤال أهل الكتاب عما تواتر عندهم كقوله (٥) : ﴿ وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم فاسألوا أهل الذكر أن كنتم لاتعلمون ﴾ : فإن من الكفار من أنكر أن يكون لله رسول بشر ، فأخبر الله أن الذين

(٥) الامر بالسؤال في هذه الآية ليس للرسول ﷺ وإنما هو لمن أنكر ذلك من المشركين

أرسلهم قبل محمد كانوا بشرأ ، وأمر بسؤال أهل الكتاب عن ذلك (لمن لا يعلم)^(٦) .

وكذلك سؤلهم عن التوحيد وغيره مما جاءت به الأنبياء وكفر به الكافرون . قال تعالى ﴿ قل : كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب ﴾ وقال تعالى : ﴿ فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك ﴾ . وقال تعالى : ﴿ قل : أرايتم إن كان من عند الله وكفرتم به ، وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم ﴾ .

وكذلك شهادة أهل الكتاب بتصديق ما أخبر به من أنباء الغيب التي لا يعلمها إلا نبي أو من أخبره نبي ، وقد علموا أن محمداً لم يتعلم من أهل الكتاب شيئاً .

وهذا غير شهادة أهل الكتاب له نفسه بما يجدونه من نعته في كتبهم ، كقوله تعالى : ﴿ أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل ؟ ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق ﴾ . وأمثال ذلك .

وهذا بخلاف ماتواتر عند الخاصة من أهل العلم ، كأحاديث الرؤية وعذاب القبر وفتنته . وأحاديث الشفاعة والصراط والحوض ، فهذا قد ينكره بعض من لم يعرفه من أهل الجهل والضلال ؛ ولهذا أنكر طائفة من المعتزلة كالجبائي وأبي بكر الرازي وغيرهما دخول الجن في بدن المصروع . ولم ينكروا وجود الجن . إذ لم يكن ظهور هذا في المنقول عن الرسول كظهور هذا ، وإن كانوا مخطئين في ذلك . ولهذا ذكر الأشعرى في مقالات أهل السنة والجماعة أنهم يقولون : إن الجني يدخل في بدن المصروع كما قال تعالى : (الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس) ، وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل قلت لأبي : إن قوما يزعمون أن الجني لا يدخل في بدن الإنسي . فقال : يا بني ! يكذبون ، هوذا يتكلم على لسانه . وهذا مبسوط في موضعه .

والمقصود هنا أن جميع طوائف المسلمين يقرون بوجود الجن ، وكذلك جمهور الكفار كعامة أهل الكتاب ، وكذلك عامة مشركي العرب وغيرهم من أولاد سام ، والهند وغيرهم من أولاد حام ، وكذلك جمهور الكنعانيين واليونانيين وغيرهم من أولاد يافث . فجماهير الطوائف تقر بوجود الجن ، بل يقرون بما يستجلبون به معاونة الجن من العزائم والطلاسم ، سواء أكان ذلك سائغاً عند أهل الإيمان أو

كان شركا ، فان المشركين يقرأون من العزائم والطلاسم والرقى مافيه عبادة للجن وتعظيم لهم ، وعامة ما بأيدي الناس من العزائم والطلاسم والرقى التي لاتفقه (٧) بالعربية فيها ماهو شرك بالجن .

ولهذا نهى علماء المسلمين عن الرقى التي لايفقه معناها : لأنها مظنة الشرك وإن لم يعرف الراقى أنها شرك . وفي صحيح مسلم عن عوف بن مالك الأشجعي . قال : « كنا نرقى في الجاهلية فقلنا : يارسول الله ! كيف ترى في ذلك ؟ فقال : اعرضوا علي رقاكم ، لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك » . وفي صحيح مسلم أيضا عن جابر قال : نهى رسول الله ﷺ عن الرقى فجاء آل عمرو بن حزم إلى رسول الله ﷺ فقالوا : يارسول الله ! إنه كانت عندنا رقية نرقى بها من العقرب ، وإنك نهيت عن الرقى ، قال : فعرضوها عليه ، فقال : « ما أرى بأسا ، من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه »

وقد كان للعرب ولسائر الامم من ذلك امور يطول وصفها ، وأخبار العرب في ذلك متواترة عند من يعرف أخبارهم من علماء المسلمين وكذلك عند غيرهم ، ولكن المسلمين أخبر بجاهلية العرب منهم بجاهلية سائر الأمم ، إذ كان خير القرون كانوا عربا ، وكانوا قد عاينوا وسمعوا ماكانوا عليه في الجاهلية ، وكان ذلك من أسباب نزول القرآن فذكروا في كتب التفسير والحديث والسير والمغازي والفقه ، فتواترت أيام جاهلية العرب في المسلمين ، وإلا فسائر الأمم المشركين هم من جنس العرب المشركين في هذا ، وبعضهم كان أشد كفرا وضلالا من مشركي العرب ، وبعضهم اخف .

والآيات التي أنزلها الله على محمد ﷺ فيها خطاب لجميع الخلق من الإنس والجن ، إذ كانت رسالته عامة للثقلين . وإن كان من أسباب نزول الآيات ما كان موجودا في العرب فليس شيء من الآيات مختصا بالسبب المعين الذي نزل فيه باتفاق المسلمين ، وإنما تنازعوا هل يختص بنوع السبب المسؤول عنه ؟ وأما بعين السبب فلم يقل أحد من المسلمين : إن آيات الطلاق أو الظهار أو اللعان أو حد السرقة والمحاربين وغير ذلك يختص بالشخص المعين الذي كان سبب نزول الآية .

وهذا الذي يسميه بعض الناس تنقيح المناط ، وهو أن يكون الرسول ﷺ

(٧) لا تفقه بالعربية : يعنى بذلك التي تكتب بغير اللغة العربية ، أو التي تكتب بحروف عربية لكنها غير مفهومة المعنى ، والرقى جمع رقية وهي العودَة التي يُرقى بها صاحب الآفة

حكم في معين وقد عُلِمَ أن الحكم لا يختص به فيريد^(٨) أن ينقح مناط الحكم ، ليعلم النوع الذي حكم فيه ، كما أنه لما أمر الأعرابي^(٩) الذي واقع امرأته في رمضان بالكفارة ، وقد عُلِمَ أن الحكم لا يختص به ، وعلم أن كونه أعرابياً أو عربياً أو الموطوءة زوجته لا أثر له ، فلو وطئ المسلم العجمي سرية كان الحكم كذلك .

ولكن هل المؤثر في الكفارة كونه مجامعاً في رمضان أو كونه مفطراً ؟ فالأول مذهب الشافعي وأحمد في المشهور عنه ، والثاني مذهب مالك وأبي حنيفة ، وهو رواية منصوصة عن أحمد في الحجامة فغيرها أولى ، ثم مالك يجعل المؤثر جنس المفطر ، وأبو حنيفة يجعلها المفطر (كتنوع جنسه)^(١٠) فلا يوجب في ابتلاع الحصاة والنواة .

وتنازعوا هل يشترط أن يكون أفسد صوما صحيحاً ؟ وأحمد لا يشترط ذلك ، بل كل إمساك وجب في شهر رمضان أوجب فيه الكفارة ، كما يوجب الأربعة مثل ذلك في الإحرام الفاسد ، فالصيام الفاسد عنده كالإحرام الفاسد كلاهما يجب اتمامه والمضي فيه ، والشافعي وغيره لا يوجبونها إلا في صوم صحيح ، والنزاع فيمن أكل ثم جامع أو لم ينو الصوم ثم جامع ، ومن جامع وكفر ثم جامع .

ومثل قوله لمن أحرم بالعمرة في جبة متضمخا بالخلوق : « إنزع عنك الجبة واغسل عنك أثر الصفرة »^(١١) . هل أمره بالغسل لكون المحرم لا يستديم الطيب كما يقوله مالك ؟ أو لكونه نهى أن يتزعفر الرجل فلا يمنع من استدامة الطيب كقول

(٨) أى المجتهد

(٩) اشتهر ذكر هذا الحديث في كتب أصول الفقه بلفظ الأعرابي ، والذي رأيته في كتب السنة بلفظ « جاء رجل » ولم يذكروا أنه أعرابي ، وقد أخرجه الجماعة إلا النسائي من حديث أبي هريرة بلفظ « رجل » وكذلك أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود من حديث عائشة بلفظ « رجل » وظاهر نص الحديث أن هذا الرجل إنما هو من أهل المدينة ، وقد أخرجه عبد الرزاق والبيهقي بلفظ « الأعرابي » ، وهو مرسل . والصحيح ما قدمناه .

(١٠) غير واضحة المعنى في هذا المقام وهي كذلك في نسخة منير الدمشقي ولعلها كانت « لا نوع جنسه » فحرقت ، والمراد أن مالكا يجعل الكفارة في كل ما يحكم فيه بأنه مفطر كابتلاع الحصاة ونحوها ، وأما أبو حنيفة فلا يجعلها إلا في المفطر الذي يتغذى به ويتداوى

(١١) أخرجه الجماعة من حديث يعلى بن أمية إلا ابن ماجه - وقد اختصرة الترمذي جداً - وأقرب الالفاظ إلى لفظ المصنف ما أخرجه الإمام مسلم في بعض رواياته ، وفي بعض الروايات المتفق عليها أنه أمره بالغسل ثلاث مرات ، وهذا القدر الذي ذكره المصنف هو جزء من الحديث .

الثلاثة ؟ وعلى الأول فهل هذا الحديث منسوخ^(١٢) بتطبيب عائشة له في حجة الوداع ؟

ومثل قوله لما سئل عن فأرة وقعت في سمن : « القوها وما حولها وكلوا سمنكم »^(١٣) . هل المؤثر عدم التغير بالنجاسة ، أو بكونه جامداً أو كونها فأرة وقعت في سمن ، فلا يتعدى إلى سائر المائعات ؟ ومثل هذا كثير ، وهذا لا بد منه في الشرائع ، ولا يسمى قياساً عند كثير من العلماء كأبي حنيفة ونفاة القياس ؛ لاتفاق الناس على العمل به كما اتفقوا على تحقيق المناط ، وهو : أن يعلق الشارع الحكم بمعنى كلي فينظر في ثبوته في بعض الأنواع أو بعض الأعيان ، كأمره باستقبال الكعبة ، وكأمره باستشهاد شهيدين من رجالنا ممن نرضى من الشهداء ، وكتحريمه الخمر والميسر ؛ وكفرضه تحليل اليمين بالكفارة ، وكتفريقه بين الفدية والطلاق ؛ وغير ذلك .

فيبقى النظر في بعض الأنواع : هل هي خمر ويمين وميسر وفدية أو طلاق ؟ وفي بعض الأعيان : هل هي من هذا النوع ؟ وهل هذا المصلى مستقبل القبلة ؟ وهذا الشخص عدل مرضي ؟ ونحو ذلك ؛ فإن هذا النوع من الاجتهاد متفق عليه بين المسلمين ، بل بين العقلاء فيما يتبعونه من شرائع دينهم وطاعة ولادة أمورهم ومصالح دنياهم وأخرتهم .

وحقيقة ذلك يرجع إلى تمثيل الشيء بنظيره وإدراج الجزئي تحت الكلي ، وذلك يسمى قياس التمثيل^(١٤) ؛ وهذا يسمى قياس الشمول^(١٥) ، وهما متلازمان ، فإن القدر المشترك بين الأفراد في قياس الشمول - الذي يسميه المنطقيون الحد الأوسط - هو القدر المشترك في قياس التمثيل الذي يسميه الأصوليون الجامع ؛ والمناط ؛ والعلة ؛ والامارة ؛ والداعي ، والباعث ؛ والمقتضى ؛ والموجب ؛ والمشارك ؛ وغير ذلك من العبارات .

وأما تخريج المناط^(١٦) وهو : القياس المحض . وهو : أن ينص على حكم في

(١٢) وذلك أن هذه القصة كانت بالجعرانة وهي في سنة ثمان ، وحجة الوداع كانت في سنة عشر

(١٣) رواه الجماعة من حديث ميمونة إلا مسلماً وابن ماجه

(١٤) أى تمثيل الشيء بنظيره

(١٥) أى إدراج الجزئي تحت الكلي

(١٦) الفرق بين تنقيح المناط وبين تخريج المناط هو أن الحكم في الأول يعلم أنه غير مختص

بهذه الواقعة فيحتاج إلى بيان مناط الحكم إذن ، وأما في الثاني فإن الحكم يظن أنه

أمور قد يُظن أنه يختص الحكم بها فيستدل على أن غيرها مثلها ، إما لانتفاء الفارق ؛ أو للاشتراك في الوصف الذي قام الدليل على أن الشارع علق الحكم به في الأصل ؛ فهذا هو القياس الذي تقر به جماهير العلماء وينكره نفاة القياس . وإنما يكثر الغلط فيه لعدم العلم بالجامع المشترك الذي علق الشارع الحكم به ، وهو الذي يسمى سؤال المطالبة ، وهو : مطالبة المعارض للمستدل بأن الوصف المشترك بين الأصل والفرع هو علة الحكم ؛ أو دليل العلة . فأكثر غلط القائسين من ظنهم علة في الأصل ما ليس بعلة ، ولهذا كثرت شناعاتهم على أهل القياس الفاسد . فأما إذا قام دليل على إلغاء الفارق وأنه ليس بين الأصل والفرع فرق يفرق الشارع لأجله بين صورتين ؛ أو قام الدليل على أن المعنى الفلاني هو الذي لأجله حكم الشارع بهذا الحكم في الأصل وهو موجود في صورة أخرى ؛ فهذا القياس لا ينازع فيه إلا من لم يعرف هاتين المقدمتين .

وبسط هذا له موضع آخر

والمقصود هنا : أن دعوة محمد ﷺ شاملة للثقلين : الإنس والجن على اختلاف أجناسهم ، فلا يظن أنه خص العرب بحكم من الأحكام أصلاً ، بل إنما علق الأحكام باسم مسلم وكافر ؛ ومؤمن ومنافق ؛ وبر وفاجر ؛ ومحسن وظالم ؛ وغير ذلك من الأسماء المذكورة في القرآن والحديث ، وليس في القرآن ولا الحديث تخصيص العرب بحكم من أحكام الشريعة ، ولكن بعض العلماء ظن ذلك في بعض الأحكام وخالفه الجمهور ، كما ظن طائفة منهم أبو يوسف أنه خص العرب بأن لا يُسْتَرْقُوا . وجمهور المسلمين على أنهم يسترقون كما صحت بذلك الأحاديث الصحيحة ، حيث استرق بنى المصطلق^(١٧) وفيهم جويرية بنت الحارث ، ثم أعتقها وتزوجها ، وأعتق بسببها من استرق من قومها .

وقال في حديث هوازن^(١٨) : « إختاروا إحدى الطائفتين : إما السبى وإما المال » ، وفي الصحيحين عن أبي أيوب الانصاري عن رسول الله ﷺ قال : « من قال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له : له الملك وله الحمد ؛ وهو على كل شيء قدير

= خاص في الواقعة الوارد فيها ، ثم يأتي المجتهد ليبين أن وقائع أخرى مثلها في الحكم وذلك لوجود علة الحكم فيها .

(١٧) أخرجه البخارى ومسلم وأبو داود من حديث أبى سعيد الخدرى وأيضاً من حديث عبد الله بن عمر

(١٨) أخرجه البخارى وأبو داود من حديث مروان والمسور بن مخرمة .

عشر مرات كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد اسماعيل .»

وفي الصحيحين أيضا عن أبي هريرة أنه كانت سبية من سبى هوازن عند عائشة فقال : « أعتقيها فإنها من ولد اسماعيل » وعامة من استرقه الرسول ﷺ من النساء والصبيان كانوا عربا وذكر هذا يطول .

ولكن عمر بن الخطاب لما رأى كثرة السبى من العجم ، واستغناء الناس عن استرقاق العرب ، رأى أن يعتقوا العرب ، من باب مشورة الامام وأمره بالمصلحة ؛ لا من باب الحكم الشرعي الذي يلزم الخلق كلهم ، فأخذ من أخذ بما ظنه من قول عمر ، وكذلك ظن من ظن أن الجزية لا تؤخذ من مشركي العرب مع كونها تؤخذ من سائر المشركين .

وجمهور العلماء على أنه لا يفرق بين العرب وغيرهم . ثم منهم من يجوز أخذها من كل مشرك ، ومنهم من لا يأخذها إلا من أهل الكتاب والمجوس ؛ وذلك أن النبي ﷺ لم يأخذ الجزية من مشركي العرب وأخذها من المجوس^(١٩) وأهل الكتاب .

فمن قال : تؤخذ من كل كافر . قال : إن آية الجزية لما نزلت أسلم مشركو العرب ، فإنها نزلت عام تبوك ولم يبق عربي مشرك محاربا ، ولم يكن النبي ﷺ ليغزو النصارى عام تبوك بجميع المسلمين - إلا من عذر الله - ويدع الحجاز وفيه من يحاربه « ويبعث »^(٢٠) أبا بكر عام تسع فنادى في الموسم أن لا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ونبذ العهود المظلمة ، وأبقى المؤقتة مادام أهلها موفين بالعهد ، كما أمر الله بذلك في أول سورة التوبة ، وأنظر الذين نبذ إليهم أربعة أشهر ، وأمر عند انسلاخها بغزو المشركين كافة ، قالوا : فدان المشركون كلهم كافة بالإسلام . ولم يرض بذل أداء الجزية ، لأنه لم يكن لمشركي العرب من الدين بعد ظهور دين الإسلام ما يصبرون لأجله على أداء الجزية عن يد وهم صاغرون ؛ إذ كان عامة العرب قد أسلموا ، فلم يبق لمشركي العرب عز يعتزون به فدأوا بالإسلام حيث أظهره الله في العرب بالحجة والبيان والسيوف والسنان .

وقول النبي صلى ﷺ « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله ، ويقيموا الصلاة ؛ ويؤتوا الزكاة » .^(٢١) مراده قتال

(١٩) أخرجه البخارى وأبو دواد والترمذى من حديث عبد الرحمن بن عوف

(٢٠) وهى كذلك فى نسخة منير الدمشقى ، ولعلها : ويبعث

(٢١) متفق عليه من حديث ابن عمر

المحاربين الذين أذن الله في قتالهم ، لم يرد قتال المعاهدين الذين أمر الله بوفاء عهدهم . وكان النبي ﷺ قبل نزول « براءة » يعاهد من عاهده من الكفار من غير أن يعطى الجزية عن يد ، فلما أنزل الله براءة وأمره بنبذ العهود المطلقة لم يكن له أن يعاهدهم كما كان يعاهدهم ، بل كان عليه أن يجاهد الجميع كما قال : (فإذا انسلك الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ، وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد ، فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم) ، وكان دين أهل الكتاب خيراً من دين المشركين ، ومع هذا فأمروا بقتالهم حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ، فإذا كان أهل الكتاب لا تجوز معاهدتهم كما كان ذلك قبل نزول براءة ، فالمشركون أولى بذلك أن لا تجوز معاهدتهم بدون ذلك .

قالوا : فكان في تخصيص أهل الكتاب بالذكر تنبيهاً بطريق الأولى على ترك معاهدة المشركين بدون الصغار والجزية ؛ كما كان يعاهدهم في مثل هدنة الحديبية وغير ذلك من المعاهدات .

قالوا : وقد ثبت في الصحيح^(٢٢) من حديث بريدة قال : « كان رسول الله ﷺ إذا أمر أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ، ومن معه من المسلمين خيراً ، ثم قال : اغزوا باسم الله في سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله ، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا وليداً ، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال أو خلال ، فأتينهم ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، ادعهم إلى الإسلام فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين ، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين ، فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين ، يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين ، ولا يكون لهم في الغنيمة والفىء شيء ، إلا أن يجاهدوا مع المسلمين ، فإن هم « أبوا فاسألهم الجزية ، فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، فإن هم أبوا فاستعن بالله عليهم وقاتلهم ، وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه ، فلا تجعل لهم ذمة الله ولا ذمة نبيه ، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك ، فإنكم إن تخفروا ذمكم وذمة أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة رسوله ، وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله ، فلا تنزلهم على حكم الله ،

ولكن أنزلهم على حكمك ؛ فإنك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا » .

قالوا : ففى الحديث أمره لمن أرسله أن يدعو الكفار إلى الإسلام ثم إلى الهجرة إلى الأمصار . وإلا فإلى أداء الجزية . وإن لم يهاجروا كانوا كأعراب المسلمين ، والأعراب عامتهم كانوا مشركين ، فدل على أنه دعا إلى أداء الجزية من حاصره من المشركين وأهل الكتاب . والحصون كانت باليمن كثيرة بعد نزول آية الجزية ، وأهل اليمن كان فيهم مشركون وأهل كتاب . وأمر^(٢٣) معاذاً أن يأخذ من كل حالم ديناراً أو عدله معافياً ، ولم يميز بين المشركين وأهل الكتاب ، فدل ذلك على أن المشركين من العرب آمنوا كما آمن من آمن من أهل الكتاب ، ومن لم يؤمن من أهل الكتاب أدى الجزية .

وقد أخذ النبي ﷺ الجزية من أهل البحرين وكانوا مجوساً ، وأسلمت عبد القيس وغيرهم من أهل البحرين طوعاً ، ولم يكن النبي ﷺ ضرب الجزية على أحد من اليهود بالمدينة ولا بخيبر ؛ بل حاربهم قبل نزول آية الجزية وأقر اليهود بخيبر فلاحين بلا جزية إلى أن أجلاهم عمر : لأنهم كانوا مهادين له ، وكانوا فلاحين في الأرض فأقرهم لحاجة المسلمين إليهم ، ثم أمر بأجلائهم قبل موته ، وأمر^(٢٥) بإخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب ، فقليل : هذا الحكم

(٢٣) الحالم : البالغ ، العدل : المثل ، المعافى : ثياب تكون باليمن . والحديث أخرجه أبو داود من حديث أبي وائل عن معاذ والترمذى من حديث أبي وائل عن مسروق عن معاذ وقال : حديث حسن ، ورواه من حديث مسروق مرسلاً وقال : هذا أصح . وأخرجه النسائى من حديث مسروق عن معاذ . قال الألبانى : « وقال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبى . قلت : وهو كما قال ، وقد قيل : إن مسروقاً لم يسمع من معاذ فهو منقطع ، ولا حجة على ذلك ، (الإرواء ٣ / ٢٢٦) وقال ابن حجر : « وفى الحكم بصحته نظر لأن مسروقاً لم يلق معاذاً ، وإنما حسنه الترمذى لشواهد ، (الفتح ٣ / ٢٢٤) وقال أيضاً : « ويقال : إن مسروقاً أيضاً لم يسمع من معاذ ، وقد بالغ ابن حزم فى تقرير ذلك ، وقال ابن القطان : هو على الاحتمال ، وينبغى أن يحكم لحديثه بالاتصال على رأى الجمهور . وقال ابن عبد البر فى التمهيد : إسناده متصل صحيح ثابت » (التلخيص ٢ / ١٦٠) ، وقد ذكر الزيلعى رجوع ابن حزم عن قوله إن مسروقاً لم يلق معاذاً وساق كلام ابن حزم من كتاب المحلى » (نصب الراية ٢ / ٢٤٦) . قال ابن حجر : « وقال أبو داود : هو حديث منكر ، قال : وبلغنى عن أحمد أنه كان ينكره ، (التلخيص ٤ / ١٣٦)

(٢٤) أخرجه البخارى ومسلم والترمذى وابن ماجه من حديث عمرو بن عوف الانصارى .

(٢٥) أخرجه البخارى ومسلم وأبو داود من حديث ابن عباس وفيه : « أخرجوا المشركين من جزيرة العرب »

مخصوص بجزيرة العرب ، وقيل : بل هو عام في جميع أهل الذمة ، إذا استغنى المسلمون عنهم اجلوهم من ديار الاسلام : وهذا قول ابن جرير^(٢٦) وغيره . ومن قال : إن الجزية لا تؤخذ من مشرك قال : ان آية الجزية نزلت والمشركون موجودون فلم يأخذها منهم .

والمقصود أنه لم يخص العرب بحكم ، وإن قيل : إنه خص جزيرة العرب التي هي حول المسجد الحرام ، كما خص المسجد الحرام بقوله : ﴿ إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا ﴾

وكذلك من قال من العلماء : إنه حرم على جميع المسلمين ما تستخبثه العرب ، وأحل لهم ما تستطيعه . فجمهور العلماء على خلاف هذا القول ، كمالك وأبى حنيفة وأحمد وقدماء أصحابه ، ولكن الخرقى وطائفة منهم وافقوا الشافعى على هذا القول ، وأما أحمد نفسه فعامة نصوصه موافقة لقول جمهور العلماء ، وما كان عليه الصحابة والتابعون أن التحليل والتحريم لا يتعلق باستطابة العرب ولا باستخبائهم : بل كانوا يستطيعون أشياء حرمها الله ، كالدم والميتة ؛ والمنخنقة والموقوذة ، والمتردية والنطيحة ، وأكيلة السبع ، وما أهل به لغير الله ، وكانوا - بل خيارهم - يكرهون أشياء لم يحرمها الله ، حتى لحم الضب كان النبي ﷺ يكرهه ، وقال^(٢٧) : « لم يكن بأرض قومي فأجدنى أعافه » وقال مع هذا : « إنه ليس بمحرم » وأكل على مائدته وهو ينظر وقال فيه^(٢٨) : « لا أكله ولا أحرمه » . وقال جمهور العلماء : الطيبات التي أحلها الله ما كان نافعا لأكله في دينه والخبيث ما كان ضارا له في دينه .

وأصل الدين العدل الذى بعث الله الرسل بإقامته ، فما أورث الأكل بغيا وظلما حرمة كما حرم^(٢٩) كل ذى ناب من السباع ؛ لأنها باغية عادية ، والغاذى شبيه بالمغتذى ، فإذا تولد اللحم منها صار في الإنسان خلق البغي والعنوان . وكذلك الدم يجمع قوى النفس من الشهوة والغضب فإذا اغتذى منه زادت

(٢٦) وتام رايه ان ذلك في « كل بلد غلب عليها المسلمون عنوة » (الفتح ٦ / ٢٧٢)

(٢٧) أخرجه الجماعة إلا الترمذى من حديث خالد بن الوليد ، وأخرج نحوه من حديث ابن عباس البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى .

(٢٨) أخرجه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى من حديث ابن عمر

(٢٩) أخرجه الجماعة من حديث أبى ثعلبة الخشنى بلفظ النهى ، وأخرجه النسائى أيضا من حديثه بلفظ « لا يحل »

شهوته وغضبه على المعتدل ، ولهذا لم يحرم منه إلا المسفوح بخلاف القليل فإنه لا يضر .

ولحم الخنزير يورث عامة الأخلاق الخبيثة ؛ إذ كان أعظم الحيوان في أكل كل شيء ، لا يعاف شيئاً ، والله لم يحرم على أمة محمد شيئاً من الطيبات وإنما حرم ذلك على أهل الكتاب ، كما قال تعالى : « فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم » ، وقال تعالى : (وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون)

وأما المسلمون فلم يحرم عليهم إلا الخبائث كالدم المسفوح ، فأما غير المسفوح كالذي يكون في العروق فلم يحرمه ، بل ذكرت عائشة « أنهم كانوا يضعون اللحم في القدر فيرون آثار الدم في القدر »^(٣٠) ؛ ولهذا عفى جمهور الفقهاء عن الدم اليسير في البدن والثياب إذا كان غير مسفوح ، وإذا عفى عنه في الأكل ففي اللباس والحمل أولى أن يعفى عنه .

وكذلك ريق الكلب يعفى عنه عند جمهور العلماء في الصيد ، كما هو مذهب مالك وأبي حنيفة وأحمد في أظهر القولين في مذهبه ، وهو أحد الوجهين في مذهب الشافعي ، وإن وجب غسل الإناء من ولوغه عند جمهورهم . إذ كان الريق في الولوغ كثيراً سارياً في المائع لا يشق الاحتراز منه ، بخلاف ما يصيب الصيد فإنه قليل ناشف في جامد يشق الاحتراز منه .

وكذلك التقديم في إمامة الصلاة بالنسب ، لا يقول به أكثر العلماء وليس فيه نص عن النبي ﷺ ، بل الذي ثبت في الصحيح عنه ﷺ أنه قال : « يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله ، فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة ، فإن كانوا في السنة سواء فأقدمهم هجرة ، فإن كانوا في الهجرة سواء فأقدمهم سناً »^(٣١) فقدمه ﷺ بالفضيلة العلمية ثم بالفضيلة العملية ، وقدم العالم بالقرآن على العالم بالسنة ، ثم الأسبق إلى الدين باختياره ، ثم الأسبق إلى الدين بسننه ، ولم يذكر النسب .

وبهذا أخذ أحمد وغيره ، فرتب الأئمة كما رتبهم النبي ﷺ ولم يذكر

(٣٠) أخرجه ابن جرير في التفسير ، وقال ابن كثير « صحيح غريب » (٢ / ٨٤) وفيه " أنها كانت لا ترى بلحوم السباع بأساً " ، ولعل ابن كثير استغربه من أجل هذه الزيادة .

(٣١) أخرجه الجماعة إلا البخاري من حديث أبي مسعود الأنصاري

النسب ، وكذلك أكثر العلماء كمالك وأبى حنيفة لم يرجحوا بالنسب ، ولكن رجع به الشافعي وطائفة من أصحاب أحمد كالخرقي وابن حامد والقاضي وغيرهم ، واحتجوا بقول سلمان الفارسي : « إن لكم علينا معشر العرب ألا تؤمكم في صلاتكم ولا ننكح نساءكم » (٢٢) .

والأولون يقولون : إنما قال سلمان هذا تقديمًا منه للعرب على الفرس ، كما يقول الرجل لمن هو أشرف منه : حقك على كذا ، وليس قول سلمان حكماً شرعياً يلزم جميع الخلق اتباعه كما يجب عليهم اتباع أحكام الله ورسوله ، ولكن من تأسى من الفرس بسلمان فله به أسوة حسنة ، فإن سلمان سابق الفرس .

وكذلك اعتبار النسب (٢٣) في أهل الكتاب ليس هو قول أحد من الصحابة ، ولا يقول به جمهور العلماء كمالك وأبى حنيفة وأحمد بن حنبل وقدماء أصحابه ، ولكن طائفة منهم ذكرت عنه روايتين ، واختار بعضهم اعتبار النسب موافقة للشافعي ، والشافعي أخذ ذلك عن عطاء ، وبسط هذا له موضع آخر .

والمقصود هنا أن النبي ﷺ إنما علق الأحكام بالصفات المؤثرة فيما يحبه الله وفيما يبغض ، فأمر بما يحبه الله ودعا إليه بحسب الإمكان ، ونهى عما يبغضه الله وحسم مادته بحسب الإمكان ، لم يخص العرب بنوع من أنواع الأحكام الشرعية ، إذ كانت دعوته لجميع البرية ؛ لكن نزل القرآن بلسانهم ، بل نزل بلسان قريش ، كما ثبت عن عمر بن الخطاب أنه قال لابن مسعود : « أقرئ الناس بلغة قريش

(٢٢) أخرجه البزار ولفظه : « نفضلكم يا معشر العرب لتفضيل رسول الله ﷺ إياكم ، لا ننكح نساءكم ، ولا تؤمكم في الصلاة » قال ابن تيمية بعد إيراده : « وهذا إسناد جيد » (اقتضاء الصراط المستقيم ١٥٧) وقال الألباني : « وجملة القول أن مدار هذا الأثر عن سلمان على أبى اسحق السبيعي ، وهو مختلط مدلس ، فإن سلم من اختلاطه ، فلم يسلم من تدليس ، لأنه قد عنعن في جميع الطرق عنه ، والله أعلم ، نعم يبدو أن له أصلاً عن سلمان » ثم ذكر أثراً أورده ابن تيمية في الاقتضاء وفيه « فقال له القوم : صل بنا يا أبا عبد الله أنت أحقنا بذلك ، فقال : لا أنتم بنو إسماعيل الأئمة ونحن الوزراء ، ثم قال الألباني « وهذا سند صحيح والله أعلم » (الإرواء ٦ / ٢٨١) وقد روى أثر سلمان هذا مرفوعاً ، وقال عنه الألباني : « هو موضوع »

(٢٣) يعنى بذلك أن هناك من اشترط لحل ذبيحة أهل الكتاب وجواز نكاح نساكنهم ، أن يكونوا ممن دخل أبائهم في دين أهل الكتاب قبل التسخ والتبديل ، فجلوا الاعتبار في أهل الكتاب بالنسب لا بنفس الرجل ، قال ابن تيمية (٣٥ / ٢٢٢) : « الصواب المقطوع به أن كون الرجل كتابياً أو غير كتابي هو حكم مستقل بنفسه لا بنسبه »

فإن القرآن نزل بلسانهم»^(٣٤) ، وكما قال عثمان للذين يكتبون المصحف من قريش والأنصار : « إذا اختلفتم في شيء فاكتبوه بلسان قريش ، فإن القرآن نزل بلسانهم»^(٣٥) وهذا لأجل التبليغ ؛ لأنه بلغ قومه أولا ثم بواسطتهم بلغ سائر الامم ، وأمره الله بتبليغ قومه أولا ، ثم بتبليغ الأقرب فالأقرب إليه ، كما أمر بجهاد الأقرب فالأقرب .

وما ذكره كثير من العلماء من أن غير العرب ليسوا أكفاء للعرب في النكاح فهذه مسألة نزاع بين العلماء ، فمنهم من لا يرى الكفاءة إلا في الدين ، ومن رآها في النسب أيضاً فإنه يحتج بقول عمر : « لأمنعن ذوات الأحساب إلا من الأكفاء»^(٣٦) ؛ لأن النكاح مقصوده حسن اللفة ، فإذا كانت المرأة أعلى منصباً (اشتغلت عن)^(٣٧) الرجل فلا يتم به المقصود . وهذه حجة من جعل ذلك حقا لله ، حتى أبطل النكاح إذا زوجت المرأة بمن لا يكافئها في الدين أو المنصب ، ومن جعلها حقا لآدمي قال : إن في ذلك غضاضة على أولياء المرأة وعليها والأمر اليهم في ذلك .

ثم هؤلاء لا يخصون الكفاءة بالنسب ، بل يقولون : هي من الصفات التي تتفاضل بها النفوس ، كالصناعة واليسار والحرية وغير ذلك ، وهذه مسائل اجتهدية ترد إلى الله والرسول ؛ فإن جاء عن الله ورسوله ما يوافق أحد القولين . فما جاء عن الله لا يختلف . وإلا فلا يكون قول أحد حجة على الله ورسوله .
وليس عن النبي ﷺ نص صحيح صريح^(٣٨) في هذه الأمور ، بل قد قال ﷺ : « إن الله أذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء ، الناس رجالان : مؤمن تقي ؛

(٢٤) قال ابن حجر : « وقد أخرج أبو داود من طريق كعب الانصارى أن عمر كتب إلى ابن مسعود : إن القرآن نزل بلسان قريش فأقرئ الناس بلسان قريش لا بلسان هذيل » (الفتح ٩ / ٩) . قلت ولم أهدت إليه في سنن أبي داود ، ولم يذكره المزى في الاطراف (٣٥) أخرجه البخارى والترمذى (٣٦) أخرجه الدارقطنى وضعفه الألبانى ، ثم ساق له لفظا أخرجه البيهقى وضعفه أيضا (الإرواء ٦ / ٢٦٦)

(٣٧) وهى كذلك في نسخة منير الدمشقى ، ولعل صوابها : استعلت على . (٣٨) وقال ابن حجر : ولم يثبت في اعتبار الكفاءة بالنسب حديث : « (الفتح ٩ / ١٣٣) قال وما أخرجه البزار في ذلك عن معاذ مرفوعا فإسناده ضعيف » وروى مرفوعا أيضا من حديث ابن عمر وعائشة ، وقد حكم الألبانى بوضعها ، ونقل عنها كلام من سبقوه (الإرواء ٦ / ٢٦٨)

وفاجر شقي» (٢٩) ، وفي صحيح مسلم عنه ﷺ أنه قال : « أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن : الفخر بالأحساب ؛ والطعن في الأنساب ؛ والنياحة ؛ والاستسقاء بالنجوم » (٤٠) وقد ثبت عنه ﷺ أنه قال : « إن الله اصطفى كنانة من بني إسماعيل . واصطفى قريشا من كنانة ، واصطفى بني هاشم من قريش ، واصطفاني من بني هاشم فأنا خيركم نفسا وخيركم نسبا » (٤١)

وجمهور العلماء على أن جنس العرب خير من غيرهم ، كما أن جنس قريش خير من غيرهم ، وجنس بني هاشم خير من غيرهم . وقد ثبت في الصحيح عنه ﷺ أنه قال : « الناس معادن كمعادن الذهب والفضة ، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا » (٤٢)

لكن تفضيل الجملة على الجملة لا يستلزم أن يكون كل فرد أفضل من كل فرد ، فإن في غير العرب خلق كثير خير من أكثر العرب ، وفي غير قريش من المهاجرين والأنصار من هو خير من أكثر قريش ، وفي غير بني هاشم من قريش وغير قريش من هو خير من أكثر بني هاشم ، كما قال رسول الله ﷺ : « إن خير القرون القرن الذين بعثت فيهم ، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » (٤٣) . وفي

(٢٩) أخرجه أبو داود والترمذي من حديث أبي هريرة وما ذكره المصنف جزء من الحديث وقال الترمذي « حديث حسن » (تحفة الأحوذى ١٠ / ٥٦) وقال ابن تيمية « صحيح » (الاقتضاء ٧٢) عُبِّيَّة الجاهلية : نخوتها وكبرها .

(٤٠) انفرد مسلم بإخراجه من حديث أبي مالك الأشعري ، وأخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة ، وذكر العذوي بدلا من الفخر بالأحساب

(٤١) أخرجه مسلم والترمذي من حديث واثلة بن الأسقع وليس فيه « فأنا خيركم نفسا وخيركم نسبا » وقد أخرجه الترمذي من حديث العباس بلفظ « فأنا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا » ، وقال : « حديث حسن » ورواه من طريق آخر عنه بلفظ « فجعلني في خيرهم بيتا وخيرهم نفسا » وقال : « حديث حسن صحيح غريب » (التحفة ١٠ / ٧٧) وصوب ابن تيمية لفظ الترمذي الأول (الاقتضاء ١٥٠)

(٤٢) أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ، وليس عند البخاري « كمعادن الذهب والفضة » وما ذكره المصنف جزء من الحديث

(٤٣) أخرجه الجماعة إلا ابن ماجه من حديث عمران بن حصين ، وكان عمران يشك ويقول لا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة . وقد أخرجه الجماعة إلا النسائي من حديث ابن مسعود بغير شك إلا في أحد طرق مسلم ، وأخرجه مسلم من حديث أبي هريرة وفيه الشك أيضا ، وأخرجه مسلم من حديث عائشة بغير شك . وهذه الروايات إنما هي بلفظ « خير الناس » أو « خير أمتي » وليس فيها لفظ « خير القرون » .

وقد أخرج البخاري من حديث أبي هريرة مرفوعا « بعثت من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً حتى كنت من القرن الذي كنت منه » .

القرن المتأخرة من هو خير من كثير من القرن الثاني والثالث ، ومع هذا فلم يخص النبي ﷺ القرن الثاني والثالث بحكم شرعي ، كذلك لم يخص العرب بحكم شرعي ، بل ولا خص بعض أصحابه^(٤٤) بحكم دون سائر أمته ، ولكن الصحابة لما كان لهم من الفضل أخبر بفضلهم ، وكذلك السابقون الأولون لم يخصهم بحكم ، ولكن أخبر بما لهم من الفضل لما اختصوا به من العمل ، وذلك لا يتعلق بالنسب .

والمقصود هنا أنه أرسل إلى جميع الثقليين : الإنس والجن ، فلم يخص العرب دون غيرهم من الأمم بأحكام شرعية ، ولكن خص قريشا بأن الإمامة فيهم ، وخص بني هاشم بتحريم الزكاة عليهم ، وذلك لأن جنس قريش لما كانوا أفضل وجب أن تكون الإمامة في أفضل الأجناس مع الإمكان ، وليست الإمامة أمراً شاملاً لكل أحد منهم ، وإنما يتولاها واحد من الناس .

وأما تحريم الصدقة فحرمها عليه وعلى أهل بيته تكميلاً لتطهيرهم ودفعاً للتهمة عنه ، كما لم يورث ، فلا يأخذ ورثته درهما ولا ديناراً . بل لا يكون له ولن يموته من مال الله إلا نفقتهم ، وسائر مال الله يصرف فيما يحبه الله ورسوله . وذوو قريبه يعطون بمعروف من مال الخمس ، والفقير الذي يعطى منه في سائر مصالح المسلمين لا يختص بأصناف معينة كالصدقات ، ثم ما جعل لذوي القربى قد قيل : إنه سقط بموته كما يقوله أبو حنيفة ، وقيل : هو لقربى من يلي الأمر بعده ، كما روى عنه : « ما أطعم الله نبياً طعمة إلا كانت لمن يلي الأمر بعده »^(٤٥) وهذا قول أبي ثور وغيره . وقيل : إن هذا كان مأخذ عثمان في إعطاء بني أمية ، وقيل : هو لذوي قربي الرسول ﷺ دائماً .

(٤٤) قلت : خص رسول الله ﷺ خزيمة الانصارى ، بأن جعل شهادته شهادة رجلين كما ثبت ذلك في البخارى وغيره

(٤٥) أخرجه أبو داود من حديث أبي بكر الصديق بلفظ « جاءت فاطمة إلى أبي بكر الصديق تطلب ميراثها من النبي ﷺ قال فقال أبو بكر : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن الله إذا أطعم نبياً طعمة فهي للذي يقوم من بعده » وفي استاده الوليد بن جميع أخرجه له مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي ، وفيه مقال وقد لخص ابن حجر أقوال الناس فيه فقال في التقريب « صدوق بهم » ، وقوله : « فهي للذي يقوم من بعده » أى بالخلافة ، أى يعمل فيها ما كان النبي ﷺ يعمل ، لا أنها تكون له ملكاً قاله العزيمى ، (عون المعبود ٨ / ١٩٦) ، وأخرجه أيضاً أحمد من طريق الوليد وقال اللباني في صحيح الجامع « صحيح » بينما قال في الإرواء حسن ، وذكر عن ابن كثير قوله : « ففى لفظ هذا الحديث غرابة ونكارة » (الإرواء ٥ / ٧٦)

ثم من هؤلاء من يقول : هو مقدر بالشرع وهو خمس الخمس كما يقوله الشافعي وأحمد في المشهور عنه . وقيل : بل الخمس والفيء يصرف في مصالح المسلمين بإجتهد الإمام ، ولا يقسم على أجزاء مقدرة متساوية ، وهذا قول مالك وغيره . (وعن أحمد أنه جعل خمس الزكاة فيئاً)^(٤٦) ، وعلى هذا القول يدل الكتاب والسنة وسيرة الخلفاء الراشدين ، وبسط هذه الأمور له موضع آخر .

والمقصود هنا : أن بعض آيات القرآن وإن كان سببه أموراً كانت في العرب فحكم الآيات عام ، يتناول ما تقتضيه الآيات لفظاً ومعنى في أي نوع كان ، ومحمد ﷺ بعث إلى الإنس والجن .

وجماهير الأمم يقر بالجن ، ولهم معهم وقائع يطول وصفها ، ولم ينكر الجن إلا شردمة قليلة من جهال المتفلسفة والأطباء ونحوهم ، وأما أكابر القوم فالمأثور عنهم : إما الإقرار بها ؛ وإما أن لا يحكى عنهم في ذلك قول . ومن المعروف عن بقراط أنه قال في بعض المياه : إنه ينفع من الصرع ، لست أعني الذي يعالجه أصحاب الهياكل^(٤٧) وإنما أعني الصرع الذي يعالجه الأطباء . وأنه قال : طبنا مع طب أهل الهياكل كطب العجائز مع طبنا .

وليس لمن أنكر ذلك حجة يعتمد عليها تدل على النفي ، وإنما معه عدم العلم ؛ إذ كانت صناعته ليس فيها ما يدل على ذلك ، كالطبيب الذي ينظر في البدن من جهة صحته ومرضه الذي يتعلق بمزاجه ، وليس في هذا تعرض لما يحصل من جهة النفس ولا من جهة الجن ، وإن كان قد علم من غير طبه أن للنفس تأثيراً عظيماً في البدن أعظم من تأثير الأسباب الطبية ، وكذلك للجن تأثير في ذلك ، كما قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح : « إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم »^(٤٨) وفي

(٤٦) وهي كذلك في نسخة منير وهو خطأ ولعلها كانت : « وعن أحمد رواية أنه جعل خمس الغنمية فيئاً » يعني أن خمس الغنمية يصرف مصرف الفيء يعني في مصالح المسلمين .
(٤٧) والصرع الذي يعالجه أهل الهياكل هو الصرع الناتج عن الشياطين ، وهذا إقرار منه بهذا النوع من الصرع .

(٤٨) أخرجه الجماعة إلا الترمذي من حديث صفيه ، ورواه مسلم وأبو داود من حديث أنس . وقوله : « إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم » قال النووي : « قال القاضي وغيره قيل هو على ظاهره ، وإن الله تعالى جعل له قوة وقدرة على الجري في باطن الإنسان مجارى دمه ، وقيل : هو على الاستعارة لكثرة إغوائه وسوسته ، فكأنه لا يفارق الإنسان كما لا يفارقه دمه ، وقيل : يلقي وسوسته في مسام لطيفة من البدن فتصل الوسوسة إلى القلب والله أعلم » (٥ / ٢٠ شرح النووي) . وفيه دليل على دخول الجن في بدن المصروع ، على قول من قال : « هو على ظاهره » .

الدم الذى هو البخار الذى تسميه الأطباء الروح الحيوانى المنبعث من القلب الساري في البدن الذى به حياة البدن ، كما قد بسط هذا في موضع آخر .

والمراد هنا أن محمداً ﷺ أرسل إلى الثقلين الانس والجن ، وقد أخبر الله في القرآن أن الجن أستمعوا القرآن وأنهم آمنوا به . كما قال تعالى : ﴿ وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا : انصتوا ! ﴾ إلى قوله : ﴿ أولئك في ضلال مبين ﴾ ، ثم أمره أن يخبر الناس بذلك فقال تعالى : ﴿ قل : أوحى إلى أنه أستمع نفر من الجن فقالوا : إنا سمعنا قرأناً عجياً ﴾ الخ ، فأمره أن يقول ذلك ليُعلم الإنس بأحوال الجن ، وأنه مبعوث إلى الإنس والجن ، لما في ذلك من هدى الإنس والجن ما يجب عليهم من الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر ، وما يجب من طاعة رسوله ومن تحريم الشرك بالجن وغيرهم ، كما قال في السورة : ﴿ وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً ﴾ .

كان الرجل من الانس ينزل بالوادي - والادوية مظان الجن ؛ فإنهم يكونون بالادوية أكثر مما يكونون بأعلى الأرض - فكان الإنسى يقول : أعوذ بعظيم هذا الوادي من سفهائه ، فلما رأت الجن أن الإنس تستعيز بها زاد طغيانهم وعتوهم^(٤٩) ، وبهذا يجيبون المعزم والراقى بأسمائهم وأسماء ملوكهم ، فإنه يقسم عليهم بأسماء من يعظمونه ، فيحصل لهم بذلك من الرئاسة والشرف على الإنس ما يحملهم على أن يعطوهم بعض سؤلهم ، لاسيما وهم يعلمون أن الإنس أشرف منهم وأعظم قدراً ، فإذا خضعت الإنس لهم واستعازت بهم كان بمنزلة أكابر الناس إذا خضع لأصاغرهم ليقضى له حاجته .

ثم الشياطين منهم من يختار الكفر والشرك ومعاصي الرب . وإبليس وجنوده من الشياطين يشتهون الشر ويلتذون به ويطلبونه ، ويحرصون عليه بمقتضى خبث أنفسهم ، وإن كان موجباً لعذابهم وعذاب من يغوونه ، كما قال إبليس : ﴿ فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ قال : أرايتك هذا الذى كرمت على لئن أخرتن إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلاً ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقاً من المؤمنين ﴾ .

والإنسان إذا فسدت نفسه أو مزاجه يشتهى ما يضره ويلتذ به ؛ بل يعشق ذلك عشقاً يفسد عقله ودينه وخلقه وبدنه وماله ، والشيطان هو نفسه خبيث فإذا

(٤٩) كانت في الأصل « وغيرهم » ، وهى كذلك في نسخة منير الدمشقى ، ولا معنى لها ، والتصحيح من أكام المرجان

تقرب صاحب العزائم والأقسام وكتب الروحانيات السحرية وأمثال ذلك إليهم بما يحبونه من الكفر والشرك صار ذلك كالرشوة والبرطيل^(٥٠) لهم ، فيقضون بعض أغراضه ، كمن يعطى غيره مالا ليقتل له من يريد قتله ، أو يعينه على فاحشة أو ينال معه فاحشة .

ولهذا كثير من هذه الأمور يكتبون فيها كلام الله بالنجاسة - وقد يقلبون^(٥١) حروف كلام الله عز وجل ، وإما حروف الفاتحة ، وإما حروف قل هو الله أحد ، وإما غيرهما - إما دم^(٥٢) وإما غيره ، وإما بغير نجاسة . أو يكتبون غير ذلك مما يرضاه الشيطان ، أو يتكلمون بذلك . فإذا قالوا أو كتبوا ماترضاه الشياطين أعانتهم على بعض أغراضهم إما تغوير^(٥٣) ماء من المياه ، وإما أن يحمل في الهواء الى بعض الأمكنة ، وإما أن يأتيه بمال من أموال بعض الناس ، كما تسرقه الشياطين من أموال الخائفين ومن لم يذكر اسم الله عليه وتأتى به ، وإما غير ذلك .

وأعرف في كل نوع من هذه الأنواع من الأمور المعينة ومن وقعت له ممن أعرفه مايطول حكايته ، فإنهم كثيرون جداً .

والمقصود أن محمداً ﷺ بعث الى الثقلين ، واستمع الجن لقراءته وولوا إلى قومهم منذرين كما أخبر ، الله عز وجل ، وهذا متفق عليه بين المسلمين . ثم أكثر المسلمين من الصحابة^(٥٤) والتابعين وغيرهم يقولون : إنهم جآؤوه بعد هذا ، وأنه قرأ عليهم القرآن وباعوه ، وسألوه الزاد لهم ولدوابهم فقال لهم : « لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يعود أوفر ما يكون لحماً ، ولكم كل بكرة علف لدوابكم » قال النبي ﷺ : « فلا تستنجوا بهما فإنهما زاد إخوانكم من الجن » ، وهذا ثابت في صحيح مسلم وغيره من حديث ابن مسعود .

وقد ثبت في صحيح البخاري وغيره من حديث أبى هريرة نهيه ﷺ عن

(٥٠) البرطيل : الرشوة ، وأصل البرطيل هو الحجر المستطيل سميت به الرشوة لأنها تلقم المرتشى عن التكلم بالحق ، كما يلقمه الحجر الطويل .

(٥١) في نسخة منير الدمشقي : « يكتبون » وما في نسختنا أوضح .

(٥٢) التنويع هنا راجع إلى النجاسة . وفي نسخة منير : « بنجاسة إمامم واما غيره . »

(٥٣) أى اذهابه في الأرض .

(٥٤) وقد نفى ابن عباس مجيئهم إلى الرسول ﷺ ، وقراءته عليهم كما ثبت في الصحيح ، لكن

أثبت ذلك ابن مسعود وأبو هريرة ، والمثبت معه زيادة علم ، والثاني معه عدم العلم ، ومن علم حجة على من لم يعلم على أن هناك رواية أخرى عن ابن عباس وافق فيها أبا هريرة ، وابن مسعود وأخرجها ابن جرير من وجه جيد كما قال ابن كثير

الاستنجاء بالعظم والروث في أحاديث متعددة . وفي صحيح مسلم وغيره عن سلمان قال : قيل له : قد علمكم نبيكم كل شيء حتى الخراة ، قال فقال : أجل ! لقد نهانا أن نستقبل القبلة بغائط أو بول ، وأن نستنجى باليمين ، وأن نستنجى بأقل من ثلاثة أحجار ، وأن نستنجى برجيع أو عظم . وفي صحيح مسلم وغيره أيضاً عن جابر قال : « نهى رسول الله ﷺ أن يتمسح بعظم أو ببعر » ، وكذلك النهى عن ذلك في حديث خزيمة^(٥٥) بن ثابت وغيره .

وقد بين علة ذلك في حديث ابن مسعود ، ففي صحيح مسلم وغيره عن ابن مسعود أن النبي ﷺ قال : « أتاني داعي الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن ، قال : فانطلق بنا فأرانا آثارهم وأثار نيرانهم ، وسألوه الزاد فقال : لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم لحماً ، وكل بكرة علف لدوابكم ، فقال النبي ﷺ : فلا تستنجوا بهما فإنهما زاد إخوانكم » . وفي صحيح البخاري وغيره عن أبي هريرة « أنه كان يحمل مع النبي ﷺ أداة لوضوئه وحاجته ، فبينما هو يتبعه بها قال : من هذا ؟ قلت : أبا هريرة ، قال : أبغني أحجاراً استنفض بها ، ولا تأتني بعظم ولا بروثه فأتيت به بأحجار أحملها في طرف ثوبي ، حتى وضعتها إلى جنبه ، ثم انصرفت حتى إذا فرغ مشيت فقلت : ما بال العظم والروث ؟ قال : هما من طعام الجن ، وإنه أتاني وفد جن نصيبين - ونعم الجن - فسألوني الزاد فدعوت الله لهم أن لا يملوا بعظم ولا روثاً إلا وجدوا عليها طعاماً » .

ولما نهى النبي ﷺ عن الاستنجاء بما يفسد طعام الجن وطعام دوابهم كان هذا تنبيهاً على النهي عما يفسد طعام الانس وطعام دوابهم بطريق الأولى ، لكن كراهة هذا والنفور عنه ظاهر في فطر الناس ، بخلاف العظم والروث فإنه لا يعرف نجاسة طعام الجن ؛ فلماذا جاءت الأحاديث الصحيحة المتعددة بالنهي عنه . وقد ثبت بهذه الأحاديث الصحيحة أنه خاطب الجن وخاطبوه ، وقرأ عليهم القرآن وأنهم سألوه الزاد .

وقد ثبت في الصحيحين عن ابن عباس أنه كان يقول : إن النبي ﷺ لم ير الجن ولا خاطبهم ولكن أخبره^(٥٦) أنهم سمعوا القرآن . وابن عباس قد علم ما دل

(٥٥) حديث خزيمة بن ثابت أخرجه أبو داود وابن ماجه ، وأما « غيره » ، فلعن المراد به الزبير بن العوام وهو عند الطبراني بسند ضعيف ، ورويف بن ثابت وهو عند أبي داود والنسائي ، وسهل بن حنيف وهو عند أحمد وإسناداه واه ، وعن رجل من الصحابة وهو عند الدارقطني (انظر التلخيص ١ / ١٢٠)

(٥٦) لم يتقدم شيء يرجع اليه الضمير ، والمراد أن الله أخبره بذلك كما ثبت في سورة الجن

عليه القرآن من ذلك ولم يعلم ما علمه ابن مسعود وأبو هريرة وغيرهما^(٥٧) من إتيان الجن إليه ومخاطبته إياهم ، وأنه أخبره بذلك في القرآن وأمره أن يخبر به ، وكان ذلك في أول الأمر لما حرست السماء وحيل بينهم وبين خبر السماء ، وملئت حرساً شديداً ، وكان في ذلك من دلائل النبوة ما فيه عبرة ، كما قد بسط في موضع آخر ، وبعد هذا أتوه وقرأ عليهم القرآن ، وروى^(٥٨) أنه قرأ عليهم سورة الرحمن وصار كلما قال : ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان ﴾ قالوا : ولا بشيء من ألائك ربنا نكذب فلك الحمد .

وقد ذكر الله في القرآن من خطاب الثقلين ما يبين هذا الأصل ، كقوله تعالى : ﴿ يامعشر الجن والإنس ! ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا ؟ قالوا : شهدنا على أنفسنا ﴾ ، وقد أخبر الله عن الجن أنهم قالوا : ﴿ وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قددا ﴾ ، أي : مذاهب شتى مسلمون وكفار ، وأهل سنة وأهل بدعة ، وقالوا : ﴿ وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون ، فمن أسلم فأولئك تحروا رشداً وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً ﴾ ، والقاسط : الجائر ، يقال : قسط إذا جار وأقسط إذا عدل .

وكافرهم معذب في الآخرة باتفاق العلماء ، وأما مؤمنهم فجمهور العلماء على أنه في الجنة ، وقد روى^(٥٩) : « أنهم يكونون في ربض الجنة تراهم الإنس من حيث لا يرونهم » وهذا القول مأثور عن مالك والشافعي وأحمد وأبي يوسف ومحمد . وقيل : إن ثوابهم النجاة من النار ، وهو مأثور عن أبي حنيفة . وقد إحتج الجمهور بقوله^(٦٠) : ﴿ لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان ﴾ ، قالوا : فدل ذلك على تأتي

(٥٧) مثل الزبير بن العوام عند أبي نعيم . قال ابن كثير : « وهذا حديث غريب » ومثل جابر عند الترمذي وقال : غريب لا نعرفه إلا من حديث الوليد عن زهير . وقد ذكر ابن كثير متابعا للوليد وهو عند البيهقي .

(٥٨) وهذا هو حديث جابر المشار إليه آنفاً ، وقد أخرجه ابن جرير من حديث ابن عمر أيضاً ، وقد حسنه الألباني (٥ / ٢٠ صحيح الجامع)

(٥٩) كلام ابن كثير يدل على أن هذا من كلام الناس وليس من الحديث النبوي قال ابن كثير : « وقد حكى فيهم أقوال غريبة أنهم لا يدخلون بحبوبة الجنة ، وإنما يكونون في ربضها . قال ومن الناس من زعم أنهم في الجنة يراهم بنو آدم ولا يرون بنى آدم ، (٤ / ١٧١ التفسير) . ثم وجدت - بعد - أن ابن تيمية قد عزاه للطبراني .

(٦٠) قال ابن كثير : وفي هذا الاستدلال نظر ، وأحسن منه قوله تعالى ﴿ ولن خاف مقام ربه جنتان فبأى آلاء ربكما تكذبان ﴾ فقد امتن تعالى على الثقلين بأن جعل جزاء محسنهم الجنة ... (٤ / ١٧١ التفسير) ، والثقلان هما : الإنس والجن .

الطمث منهم ، لأن طمث الحور العين إنما يكون في الجنة .

فصل

وإذا كان الجن أحياء عقلاء مأمورين منهيين لهم ثواب وعقاب وقد أرسل إليهم النبي ﷺ فالواجب على المسلم أن يستعمل فيهم ما يستعمله في الإنس من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والدعوة إلى الله كما شرع الله ورسوله ، وكما دعاهم النبي ﷺ ، ويعاملهم إذا اعتدوا بما يعامل به المعتدون ، فيدفع صولهم بما يدفع صول الانس .

وصرعهم للإنس قد يكون عن شهوة وهوى وعشق كما يتفق للإنس مع الإنس ، وقد يتناكح الانس والجن ويولد بينهما ولد ، وهذا كثير معروف ، وقد ذكر العلماء ذلك وتكلموا عليه ، وكره أكثر العلماء مناكحة الجن . وقد يكون^(٦١) وهو كثير أو الأكثر عن بغض ومجازاة ، مثل أن يؤذيهم بعض الإنس أو يظنوا أنهم يتعمدون^(٦٢) أذاهم إما ببول على بعضهم ، وإما بصب ماء حار ، وإما يقتل بعضهم ، وإن كان الإنسى لا يعرف ذلك - وفي الجن جهل وظلم - فيعاقبونه بأكثر مما يستحقه ، وقد يكون عن عبث منهم وشر (بمثل)^(٦٣) سفهاء الإنس .

وحينئذ فما كان من الباب الأول من الفواحش التي حرمها الله تعالى كما حرم ذلك على الإنس ، وإن كان برضى الآخر ، فكيف إذا كان مع كراهته ، فإنه فاحشة وظلم ؟ فيخاطب الجن بذلك ويعرفون أن هذا فاحشة محرمة أو فاحشة وعدوان لتقوم الحجة عليهم بذلك ، ويعلموا أنه يحكم فيهم بحكم الله ورسوله الذي أرسله إلى جميع الثقليين الإنس والجن ،

وما كان من القسم الثاني فإن كان الإنسى لم يعلم فيخاطبون بأن هذا لم يعلم ، ومن لم يتعمد الأذى لا يستحق العقوبة ، وإن كان قد فعل ذلك في داره وملكه عرفوا بأن الدار ملكه فله أن يتصرف فيها بما يجوز ، وأنتم ليس لكم أن تمكثوا في ملك الإنس بغير إذنه ، بل لكم ماليس من مساكن الإنس كالخرب والفلات ؛ ولهذا يوجدون كثيرا في الخرب والفلات ، ويوجدون في مواضع النجاسات

(٦١) أى سبب صرع الجن للإنس (٦٢) كانت في الأصل : « يتعمدوا » وهى كذلك في نسخة منير الدمشقى ، وهو خطأ .

(٦٢) صوابها « مثل » أى أن من أسباب صرعهم للإنس العبث والشر ، وذلك مثل سفهاء الإنس حينما يؤذون غيرهم ، لا لسبب الا للعبث والشر

كالحمامات والحشوش والمزابل والقمامين والمقابر . والشيوخ الذين تقترب بهم الشياطين وتكون أحوالهم شيطانية لا رحمانية يأوون كثيراً إلى هذه الأماكن التي هي مأوى الشياطين .

وقد جاءت الآثار^(٦٤) بالنهي عن الصلاة فيها لأنها مأوى الشياطين ، والفقهاء منهم من علل النهي بكونها مظنة النجاسات . ومنهم من قال : إنه تعبد لا يعقل معناه . والصحيح أن العلة في الحمام وأعطان الأبل ونحو ذلك أنها مأوى الشياطين . وفي المقبرة أن ذلك ذريعة إلى الشرك مع أن المقابر تكون أيضاً مأوى للشياطين .

والمقصود أن أهل الضلال والبدع الذين فيهم زهد وعبادة على غير الوجه الشرعي ، ولهم أحياناً مكاشفات ، ولهم تأثيرات ، يأوون كثيراً إلى مواضع الشياطين ، التي نهى عن الصلاة فيها ؛ لأن الشياطين تنزل عليهم بها وتخاطبهم الشياطين ببعض الأمور ، كما تخاطب الكهان ، وكما كانت تدخل في الأصنام وتكلم عابدي الأصنام وتعينهم في بعض المطالب ، كما تعين السحرة ، وكما تعين عباد الأصنام وعباد الشمس والقمر والكواكب إذا عبدوها بالعبادات التي يظنون أنها تناسبها ، من تسبيح لها ولباس وبخور وغير ذلك ؛ فإنه قد تنزل عليهم شياطين يسمونها روحانية الكواكب ، وقد تقضي بعض حوائجهم . إما قتل بعض أعدائهم ، أو إمرضه ، وإما جلب بعض من يهوونه . وإما إحضار بعض المال ، ولكن الضرر الذي يحصل لهم بذلك أعظم من النفع ، بل قد يكون أضعاف أضعاف النفع .

والذين يستخدمون الجن بهذه الأمور يزعم كثير منهم أن سليمان كان يستخدم الجن بها ، فانه قد ذكر غير واحد من علماء السلف أن سليمان لما مات

(٦٤) حديث المنع من الصلاة في المقبرة والحمام ، أخرجه الترمذى وأبو داود وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان والحاكم وغيرهم من حديث أبى سعيد الخدرى ، قال الألبانى عن إسناده : « صحيح على شرط الشيخين ، وقد صححه كذلك الحاكم والذهبي وأعله بعضهم بما لا يقدح » ولذلك قال شيخ الإسلام ابن تيميه « أسانيد جيدة ، ومن تكلم فيه فما استوفى طريقة » وقد أشار إلى صحته الامام البخارى في جزء القراءة ، (الإرواء ١ / ٢٢٠) وأخرجه الترمذى وابن ماجه من حديث ابن عمر وهو ضعيف وأما أحاديث المنع من اتخاذ القبور مساجد فأحاديث كثيرة أخرجه في البخارى ومسلم وغيرهما ، وقد نقل الشوكانى عن ابن حزم قوله « أحاديث النهي عن الصلاة إلى القبور والصلاة في المقبرة أحاديث متواترة لا يسع أحدا تركها » (نيل الأوطار ٢ / ١٢٣) وأما أحاديث المنع من الصلاة في أعطان الإبل فقد أخرجه أيضاً مسلم وغيره .

كتبت الشياطين كتب سحر وكفر وجعلتها تحت كرسیه ، وقالوا : كان سليمان يستخدم الجن بهذه ، فطعن طائفة من أهل الكتاب في سليمان بهذا . وآخرون قالوا : لولا أن هذا حق جائز لما فعله سليمان . فضل الفريقان ، هؤلاء بقدرهم في سليمان . وهؤلاء باتباعهم السحر ، فأنزل الله تعالى في ذلك قوله تعالى : ﴿ ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم ﴾ الى قوله تعالى : ﴿ ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون ﴾ . بين سبحانه أن هذا لا يضر ولا ينفع ؛ إذ كان النفع هو الخير الخالص أو الراجح ، والضرر هو الشر الخالص أو الراجح . وشر هذا إما خالص وإما راجح .

والمقصود أن الجن إذا اعتدوا على الانس أخبروا بحكم الله ورسوله وأقيمت عليهم الحجة ، وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، كما يفعل بالانس ؛ لأن الله يقول : ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾ . وقال تعالى : ﴿ يامعشر الجن والانس ! ألم يأتيكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا ؟ ﴾ ، ولهذا نهى النبي ﷺ عن قتل حيات البيوت حتى تؤذن ثلاثاً ، كما في صحيح مسلم وغيره عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : « إن بالمدينة نفراً من الجن قد أسلموا ، فمن رأى شيئاً من هذه العوامر فليؤذنه ثلاثاً ، فإن بدا له بعد فليقتله فإنه شيطان » (٦٥) .

وفي صحيح مسلم أيضاً عن أبي السائب مولى هشام بن زهرة أنه دخل على

(٦٥) وهذا الحديث وأضرابه فيه دليل على تصور الجن في اشكال شتى ، وقد يقال بل الجن انواع مختلفة ، وكل نوع له صورة ثابتة مغايرة لصورة الصنف الآخر ، ونظراً لاختلاف صور هذه الأنواع ظن من ظن أن الجن له القدرة على التصور بأكثر من شكل ، وقد يستدل لهذا أيضاً بالحديث السابق ، ويحدث أبي ثعلبة الخشني مرفوعاً : « الجن ثلاثة اصناف ، فصنف لهم أجنحة يطيرون بها في الهواء وصنف حيات وكلاب وصنف يحلون ويظعنون » أخرجه الطبراني في الكبير . والحاكم في المستدرک وابن حبان ، وقال الالباني : « صحيح (صحيح الجامع ٣ / ٨٥) وقد روى أبو بكر أبي الدنيا في كتاب « مكابد الشيطان » فقال : حدثنا أبو خيثمة حدثنا هشيم عن الشيباني عن يسير بن عمرو قال : « ذكرنا الغيلان عند عمر فقال : إن أحدا لا يستطيع أن يتغير عن صورته التي خلقه الله تعالى عليه ، ولكن لهم سحرة كسحرتكم ، فإذا رأيتم ذلك فاذنوا » (نقلنا عن كتاب أكام المرجان ص ٣٣) قلت : رجاله كلهم ثقات احتج بهم الشياخان وغيرهم ، غير أن هشيماً كان يلدس وقال ابن حجر « أخرجه ابن أبي شيبة بإسناد صحيح » (٦ / ٣٤٤ الفتح) .

أبى سعيد الخدرى فى بيته ، قال : فوجدته يصلى فجلست أنتظره حتى يقضى صلاته ، فسمعت تحريكاً فى عراجين فى ناحية البيت فالتفت فإذا حية ، فوثبت لأقتلها ، فأشار إلي أن اجلس فجلست ، فلما انصرف أشار الى بيت فى الدار فقال : أترى هذا البيت ؟ فقلت : نعم ! فقال : كان فيه فتى منا حديث عهد بعرس ، قال : فخرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الخندق ، فكان ذلك الفتى يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنصاف النهار ويرجع إلى أهله ، فاستأذنه يوماً فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خذ عليك سلاحك فإنى أخشى عليك قريظة » فأخذ الرجل سلاحه ثم رجع ، فإذا امرأته بين البابين قائمة فأهوى إليها بالرمح ليطعننها به وأصابته غيرة ، فقالت : اكفف عليك رمحك وادخل البيت حتى تنظر ما الذى أخرجنى ، فدخل فإذا بحية عظيمة منطوية على الفراش ، فأهوى إليها بالرمح فانتظمها به ، ثم خرج فركزه فى الدار فاضطربت عليه ، فما يدرى أيهما كان أسرع موتاً الحية أم الفتى ؟ قال : فجئنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرنا له ذلك ، وقلنا : ادع الله يحييه لنا ، قال : « استغفروا لصاحبكم » ثم قال : « إن بالمدينة جنأ قد اسلموا فإذا رأيتم منهم شيئاً فأذنبوه ثلاثة أيام ، فإن بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه فإنما هو شيطان » ، وفى لفظ آخر لمسلم أيضاً : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن لهذه البيوت عوامر ، فإذا رأيتم شيئاً منها فخرجوا عليه ثلاثاً ، فإن ذهب وإلا فاقتلوه فإنه كافر »^(٦٦) وقال لهم : « اذهبوا فادفنوا صاحبكم » .

وذلك أن قتل الجن بغير حق لا يجوز كما لا يجوز قتل الإنسان بلا حق ، والظلم محرم فى كل حال ، فلا يحل لأحد أن يظلم أحداً ولو كان كافراً ، بل قال تعالى : ﴿ ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى ﴾ ، والجن يتصورون^(٦٧) فى صور الإنسان والبهائم ، فيتصورون فى صور الحيات والعقارب

(٦٦) قد استثنى رسول الله ﷺ من الأمر بالإندار والتحريم قبل القتل نوعين من الحيات ، هما الأبتى ، وذو الطفيتين . والأبتى : هو قصير الذنب ، وذو الطفيتين : هو الذى له خطان ، أبيضان على ظهره ، وذلك لأنهما يخطفان البصر ، ويسقطان الحمل ، فيقتلان بغير إندار . والمراد بالتحريم أو الإندار أن يطلب منها مغادرة البيت وعدم الظهور فيه وإلا تعرضت للقتل ، وأما حيات غير البيوت فتقتل بدون إندار .

(٦٧) وعلى ما سبق تقريره يكون هذا التغير فى الصورة راجعاً إلى السحر فيخيل إلى الأنس من سحرهم أن لهم هذه الصور المختلفة ، والسحر وإن كان حقيقة واقعة لاشك فيها ، لكنه لا يقلب حقائق الأشياء ، فلا يستطيع الساحر أن يخلق

وغيرها ، وفي صور الإبل والبقر والغنم ، والخيول والبغال والحمير ، وفي صور الطير ، وفي صور بني آدم ، كما أتى الشيطان قريشاً في صورة سراقبة بن مالك بن جعشم لما أرادوا الخروج إلى بدر ، قال تعالى : ﴿ وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال : لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم ﴾ ، إلى قوله : ﴿ والله شديد العقاب ﴾ .

وكما روى أنه تصور في صورة شيخ نجدي لما اجتمعوا بدار الندوة هل يقتلوا الرسول أو يحبسوه أو يخرجوه ؟ كما قال تبارك وتعالى : ﴿ وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ﴾ ، فإذا كان حيات البيوت قد تكون جنا فتؤذن ثلاثاً فإن ذهبت وإلا قتلت ، فإنها إن كانت حية قتلت ، وإن كانت جنية فقد أصرت على العدوان بظهورها للإنس في صورة حية تفزعهم بذلك ، والعادي هو الصائل الذي يجوز دفعه بما يدفع ضرره ولو كان قتلاً ، وأما قتلهم بدون سبب يبيح ذلك فلا يجوز .

وأهل العزائم والأقسام يقسمون على بعضهم ليعينهم على بعض ، فتارة (٦٨) يبرون قسمه وكثيراً لا يفعلون ذلك ، بأن يكون ذلك الجني معظماً عندهم ، وليس للمعزم وعزيمته من الحرمة ما يقتضى إعانتهم على ذلك ، إذ كان المعزم قد يكون

الحياة في الجماد ، وقد بين ابن حجر أن الجمهور . وإن قالوا إن للسحر حقيقة لكنهم قالوا لا ينتهي إلى الاحالة بحيث يصير الجماد حيواناً (١٠ / ١٨٢ فتح) قال تعالى ﴿ فسحروا عين الناس واسترهبوهم ﴾ وقال ﴿ يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى ﴾ ومعلوم أن السحرة لم يخلقوا الحياة في العصى ، وأن حقيقة العصا لم تنقلب إلى حقيقة الثعبان ، بل العصا كما هي عصا ، ولكن خيل للرائي - من السحر - أنها تسعى ، فالسحر حقيقة ، بمعنى أنه موجود وواقع لا بمعنى أنه يقلب حقائق الأشياء ، وعلى ذلك فما نراه من الصور المختلفة للجن فإنما هو راجع إلى السحر لا إلى أنهم قادرين على تغير صورهم وأشكالهم كما يشاءون والله أعلم . قال ابن الأثير « الغول أحد الغيلان ، وهي جنس من الشياطين والجن كانت العرب تزعم أن الغول في الفلاة تتراءى للناس فتتغول فتغولا أي تتلون تلونا في صور شتى ، وتقول لهم أي تضلهم عن الطريق وتهلكهم فنفاه النبي ﷺ وأبطله يعني بقوله : لا غول - وقيل : قوله لا غول ليس نفيًا لعين الغول ووجوده ، وإنما فيه إبطال زعم العرب في تلونه بالصور المختلفة واغتياله ، (نقلًا عن لسان العرب) قلت : وعلى ذلك يدل أثر عمر رضى الله عنه ، وقد روى مرفوعاً من حديث أبي هريرة « إذا تقولت لكم الغيلان فنادوا بالأذان ... » الحديث لكنه ضعيف (١ / ١٦٥ ضعيف الجامع)

بمنزلة الذى يحلف غيره ويقسم عليه بمن يعظمه وهذا تختلف أحواله ، فمن أقسم على الناس ليؤذوا من هو عظيم عندهم لم يلتفتوا إليه وقد يكون ذاك منيعاً . فأحوالهم شبيهة بأحوال الإنس لكن الإنس أعقل وأصدق وأعدل وأوفى بالعهد ؛ والجن أجهل وأكذب وأظلم وأغدر .

والمقصود أن أرباب العزائم مع كون عزائمهم تشتمل على شرك وكفر لاتجوز العزيمة والقسم به ، فهم كثيراً ما يعجزون عن دفع الجني ، وكثيراً ماتسخر منهم الجن إذا طلبوا منهم قتل الجني الصارع للإنس أو حبسه ، فيخيلون^(٦٩) إليهم أنهم قتلوه أو حبسوه ويكون ذلك تخيلاً وكذباً . هذا إذا كان الذى يرى مايخيلونه صادقاً فى الرؤية ، فإن عامة ما يُعرَّفونه لمن يريدون تعريفه إما بالمكاشفة والمخاطبة ، إن كان من جنس عباد المشركين وأهل الكتاب ومبتدعه المسلمين الذين تضلهم الجن والشياطين ، وأما ما يظهرونه لأهل العزائم والأقسام أنهم يمثلون ما يريدون تعريفه ، فإذا رأى المثال أخبر عن ذلك وقد يعرف أنه مثال ، وقد يوهمونه أنه نفس المرئى ، وإذا أرادوا سماع^(٧٠) كلام من يناديه من مكان بعيد ، مثل من يستغيث ببعض العباد الضالين من المشركين وأهل الكتاب وأهل الجهل من عباد المسلمين ، إذا استغاث به بعض محبيه فقال : ياسيدى فلان ! فإن الجني يخاطبه بمثل صوت ذلك الإنسى ، فإذا رد الشيخ عليه الخطاب أجاب ذلك الإنسى بمثل ذلك الصوت ، وهذا وقع لعدد كثير أعرف منهم طائفة .

فصل

وكثيراً ما يتصور الشيطان بصورة المدعو المندى المستغاث به إذا كان ميتاً . وكذلك قد يكون حياً ولا يشعر بالذى ناداه ؛ بل يتصور الشيطان بصورته ، فيظن المشرك الضال المستغيث بذلك الشخص أن الشخص نفسه أجابه ، وإنما هو الشيطان ، وهذا يقع للكفار المستغيثين بمن يحسنون به الظن من الأموات والأحياء ، كالنصارى المستغيثين بجرجس وغيره من قداديسهم ، ويقع لأهل الشرك والضلال من المنتسبين إلى الإسلام الذين يستغيثون بالموتى والغائبين ، يتصور لهم الشيطان فى صورة ذلك المستغاث به وهو لا يشعر .

(٦٩) كانت فى الأصل - وكذلك عند منير الدمشقي - « فيخيلوا » .

(٧٠) لعل صوابها : اسماع

وأعرف عددا كثيرا وقع لهم في عدة أشخاص يقول لي كل من الاشخاص :
 إنى لم أعرف أن هذا استغاث بى ، والمستغيث قد رأى ذلك الذي هو على صورة
 هذا ، وما اعتقد أنه إلا هذا . وذكر لي غير واحد أنهم استغاثوا بى ، كل يذكر قصة
 غير قصة صاحبه ، فأخبرت كلا منهم أنى لم أجب أحدا منهم ، ولا علمت
 باستغاثته ، فقليل ، هذا يكون ملكا ، فقلت : الملك لا يغيث المشرك ، إنما هو شيطان
 أراد أن يضلّه .

وكذلك يتصور بصورته ويقف بعرفات ، فيظن من يحسن به الظن أنه وقف
 بعرفات ، وكثير منهم حمله الشيطان إلى عرفات أو غيرها من الحرم ، فيتجاوز
 الميقات بلا إحرام ولا تلبية ، ولا يطوف بالبيت ولا بالصفة والمروة ، وفيهم من لا
 يعبر مكة ، وفيهم من يقف بعرفات ويرجع ولا يرمي الجمار ، إلى أمثال ذلك^(٧١) من

(٧١) فمن ذلك ما ذكره شيخ الإسلام عن الحلاج وكان معه طائفة من أصحابه " فطلبوا
 منه حلاوة فذهب إلى مكان قريب منهم وجاء بصحن حلوى ، فكشفوا الأمر
 فوجدوا ذلك قد سرق من دكان حلاوى باليمن ، حمله شيطان من تلك البقعة "
 وقال شيخ الإسلام " ومثل هذا يحصل كثيرا لغير الحلاج ممن له حال شيطان ونحن
 نعرف كثيرا من هؤلاء في زماننا وغير زماننا ، مثل شخص هو الآن بدمشق كان
 الشيطان يحمله من جبل الصالحية إلى قرية حول دمشق فيجىء من الهواء إلى طاقة
 البيت الذى فيه الناس فيدخل وهم يرونه " ويحكى عن " شيخ آخر أخبر عن نفسه
 أنه كان يزنى بالنساء ويتلوط بالصبيان . . . وكان يقول : يأتينى كلب أسود بين
 عينيه نكتتان بيضاوان فيقول لى : فلان ، إن فلانا نذر لك نذرا ، وغدا يأتيك به ،
 وأنا قضيت حاجته لأجلك ، فيصبح ذلك الشخص يأتيه بذلك النذر ويكاشفه هذا
 الشيخ الكافر ، قال (أى الشيخ الكافر) : وكنت أمشى وبين يدي عمود أسود عليه
 نور " قال شيخ الإسلام " فلما تاب هذا الشيخ وصار يصلى ويصوم ويتجنب المحارم
 ذهب الكلب الأسود " ويحكى عن " شيخ آخر كان له شياطين يرسلهم يصرعون
 بعض الناس ، فيأتى أهل ذلك المصروع إلى الشيخ يطلبون منه إبراءه ، فيرسل إلى
 اتباعه فيفارقون ذلك المصروع ، ويعطون ذلك الشيخ دراهم كثيرة ، وكان أحيانا
 تأتيه الجن بدراهم وطعام تسرقه من الناس ، حتى إن بعض الناس كان له تين في
 كورة ، فيطلب الشيخ من شياطينه تينا فيحضرونه له ، فيطلب أصحاب الكورة
 التين فوجدوه قد ذهب " وحكى عن " آخر كان مشتغلا بالعلم والقراءة فجاءته
 الشياطين أغرته ، وقالوا له : نحن نسقط عنك الصلاة ، ونحضر لك ما تريد ،
 فكانوا يأتونه بالحلوى والفاكهة حتى حضر عند بعض الشيوخ العارفين بالسنة
 فاستتابه ، وأعطى أهل الخلاوة ثمن حلاوتهم التى أكلها ذلك المفتون بالشيطان "
 قال : " وكثير ممن يستغيث بالمشايخ فيقول : يا سيدى فلان ، أو يا شيخ فلان

الأمور التي يضلهم بها الشيطان حيث فعلوا ما هو منهي عنه في الشرع ، إما محرم وأما مكروه ليس بواجب ولا مستحب ، وقد زين لهم الشيطان أن هذا من كرامات الصالحين ، وهو من تلبيس الشيطان ، فإن الله لا يعبد إلا بما هو واجب أو مستحب ، وكل من عبد عبادة ليست واجبة ولا مستحبة وظنها واجبة أو مستحبة فإنما زين ذلك له الشيطان وإن قدر أنه عفى عنه لحسن قصده واجتهاده ، لكن ليس هذا مما يكرم الله به أوليائه المتقين ، إذ ليس في فعل المحرمات والمكروهات إكرام . بل الإكرام حفظه من ذلك ومنعه منه . فإن ذلك ينقصه لا يزيده ، وإن لم يعاقب عليه بالعذاب فلا بد أن يخفضه عما كان ، ويخفض اتباعه الذين يمدحون هذه الحال ويعظمون صاحبها ، فإن مدح المحرمات والمكروهات وتعتظيم صاحبها هو من الضلال عن سبيل الله ، وكلما ازداد العبد في البدع اجتهدا ازداد من الله

أقضى حاجتي فبرى صورة ذلك الشيخ تخاطبه ويقول أنا أقضى حاجتك وأطيب قلبك ، فيقضى حاجته ، أو يدفع عنه عدوه ، ويكون ذلك شيطانا قد تمثل في صورته لما أشرك بالله فدعى غيره ، ويحكى ما وقع له من ذلك فيقول : " وأنا أعرف من هذا وقائع متعددة حتى إن طائفة من أصحابي ذكروا أنهم استغاثوا بي في شدائد أصابتهم ، أحدهم كان خائفاً من الأرمن ، والآخر كان خائفاً من التتر : فذكر كل منهم أنه لما استغاث بي رأى في الهواء وقد دفعت عنه عدوه ، فأخبرتهم أني لم أشعر بهذا ، ولا دفعت عنكم شيئاً ، وإنما هذا الشيطان تمثل لأحدهم فأغواه لما أشرك بالله تعالى ، وهكذا جرى لغير واحد من أصحابنا المشايخ مع أصحابهم ، يستغيث أحدهم بالشيخ ، فبرى الشيخ قد جاء وقضى حاجته ، ويقول ذلك الشيخ : إن لم أعلم بهذا ، فيتبين أن هذا كان شيطانا " (مجموع الفتاوى ٣٥ / ١١٢ - ١١٦) . ويقول أيضاً في موضع آخر : " فإن أعرف من تخاطبه النباتات بما فيها من المنافع ، وإنما يخاطبه الشيطان الذي دخل فيها ، وأعرف من يخاطبهم الحجر والشجر وتقول : هنيئا لك يا ولي الله فيقرأ آية الكرسي فيذهب ذلك ، وأعرف من يقصد صيد الطير فتخاطبه العصافير وغيرها وتقول . خذني حتى يأكلني الفقراء ، ويكون الشيطان قد دخل فيها كما يدخل في الإنس ويخاطبه بذلك ، ومنهم من يكون في البيت وهو مغلق فيرى نفسه خارجة وهو لم يفتح وبالعكس ، وكذلك في أبواب المدينة وتكون الجن قد أدخلته وأخرجته بسرعة ، أو تمر به أنوار أو تحضر عنده من يطلبه ويكون ذلك من الشياطين يتصورون بصورة صاحبه ، فإذا قرأ آية الكرسي مرة بعد مرة ذهب ذلك كله " وقال أيضاً " ولقد أخبر بعض الشيخ فقال : يروني الجن شيئاً برافاً مثل الماء والزجاج ويمثلون له فيه ما يطلب منه الإخبار به ، قال فأخبر الناس به ، ويوصلون إلى كلام من استغاث بي من أصحابي فأجيبه فيوصلون جوابي إليه " ، وقد ذكر الشيخ أشياء أخر ثم قال : " وهذا باب واسع لو ذكرت ما أعرفه منه لاحتاج إلى مجلد كبير " (الفرقان : ٨٧ ، ٩٢)

بعداً لأنها تخرجه عن سبيل الله ، سبيل الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين إلى بعض سبيل المغضوب عليهم والضالين .

فصل (٧٢)

إذا عرف الأصل في هذا الباب فنقول : يجوز بل يستحب وقد يجب أن يذب عن المظلوم وأن ينصر ؛ فإن نصر المظلوم مأمور به بحسب الإمكان ، وفي الصحيحين^(٧٢) حديث البراء بن عازب قال : « أمرنا رسول الله ﷺ بسبع ونهانا عن سبع ، أمرنا بعيادة المريض ، واتباع الجنائز ، وتشميت العاطس ، وإبرار القسم أو المقسم ، ونصر المظلوم ، وإجابة الداعي ، وإفشاء السلام . ونهانا عن خواتيم أو تختم الذهب ، وعن شرب بالفضة ؛ وعن المياثر وعن القسي وليس الحرير ؛ والاستبرق ، والديباج » . وفي الصحيح^(٧٤) عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً ، قلت : يا رسول الله ! أنصره مظلوماً فكيف أنصره ظالماً ؟ قال : تمنعه من الظلم ، فذلك نصرك إياه »

وأيضا ففيه تفريغ كربة هذا المظلوم . وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه » . وفي صحيح مسلم أيضا عن جابر أن رسول الله ﷺ لما سئل عن الرقى قال : « من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل » .

لكن ينصر بالعدل كما أمر الله ورسوله ، مثل الأدعية والأذكار الشرعية ،

(٧٢) هذا الفصل إنما هو جواب على سؤال طويل ، وقد وجدت نص السؤال وملخص الجواب في « أكام المرجان » وملخص السؤال هل يجوز إعانة المصروع بالأدعية والرقى الشرعية حتى لو أدى ذلك إلى هلاك طائفة من الجن ، وهل تجوز الاستعانة على الشياطين بشيء من صنع أهل التنجيم ونحوهم فيما يعانونه من الحجب والكتابة والنجور والأوراق وغير ذلك .

(٧٣) القسي : ثياب مخلوطة بالحرير ، الميثرة : وطاء يوضع على سرج الفرس يصنع من الأرجوان الأحمر ومن الديباج ، والديباج والاستبرق : صنفان نفيسان من الحرير

(٧٤) أخرجه البخاري من حديثه ، وأخرجه مسلم من حديث جابر ، وابن حبان من حديث ابن عمر

ومثل امر الجنى ونهيه كما يؤمر الإنسى وينهى ، ويجوز من ذلك ما يجوز مثله في حق الإنسى ، مثل أن يحتاج إلى انتهاز الجنى وتهديده ولعنه وسبه ، كما ثبت في صحيح مسلم عن أبى الدرداء قال : قام رسول ﷺ فسمعناه يقول : « أعوذ بالله منك ثم قال : ألعنك بلعنة الله ثلاثا » وبسط يده كأنه يتناول شيئا ، فلما فرغ من الصلاة قلنا : يا رسول الله ! قد سمعناك تقول في الصلاة شيئا لم نسمعك تقول قبل ذلك ، ورأيناك بسطت يدك ! قال : « إن عدو الله إبليس جاء بشهاب من نار ليحمله في وجهي ، فقلت : أعوذ الله منك ثلاث مرات ، ثم قلت : ألعنك بلعنة الله التامة فلم يستأخر ثلاث مرات ، ثم أردت أخذه ، ووالله لولا دعوة أخينا سليمان لأصبح موثقا يلعب به ولدان أهل المدينة » ففى هذا الحديث الاستعاذة منه ولعنته بلعنة الله ، ولم يستأخر بذلك فمد يده إليه . وفى الصحيحين عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « إن الشيطان عرض لي ، فشد علي ليقطع الصلاة علي ، فأمكنى الله منه فدعته ، ولقد هممت أن أوثقه إلى سارية حتى تصحبوا فتنظروا إليه ، فذكرت قول أخى سليمان (رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدي) فرده الله (٧٥) خاسئا »

فهذا الحديث يوافق الأول ويفسره وقوله : « دُعته » (٧٦) أى : خنقته ، فبين أن مد اليد كان لخنقه ، وهذا دفع لعدوانه بالفعل وهو الخنق ، وبه اندفع عدوانه فرده الله خاسئا .

وأما الزيادة وهو ربطه إلى السارية فهو من باب التصرف الملكى الذي تركه لسليمان ، فإن نبينا ﷺ كان يتصرف فى الجن كتصرفه فى الإنس تصرف عبد رسول ، يأمرهم بعبادة الله وطاعته لا يتصرف لأمر يرجع إليه وهو التصرف الملكى ؛ فإنه كان عبداً رسولاً وسليمان نبى ملك ، والعبد الرسول أفضل من النبى الملك كما أن السابقين المقربين أفضل من عموم الأبرار أصحاب اليمين ، وقد روى النسائى (٧٧) على شرط البخارى عن عائشة أن النبى ﷺ كان يصلي فاتاه

(٧٥) لفظ الجلالة « الله » فى رواية مسلم وأما رواية البخارى « فرده خاسئا » والضمير فى رواية البخارى راجع إلى النبى ﷺ .

(٧٦) وفى رواية « فدعته » قال النووى : وهو صحيح أيضا ومعناه دفعته دفعا شديدا (٧٧) ليس هو فى « المجتبى » وهو المراد بسنن النسائى عند الاطلاق ، وإنما رواه النسائى فى السنن الكبرى . والمجتبى مختصر من السنن الكبرى . ورجاله عند النسائى أخرج لهم الشيوخ غير أبى بكر بن عياش ، وإنما روى له البخارى ، وقد أخرج له مسلم فى المقدمة .

الشيطان ، فأخذه فصصره فخنقه ، قال رسول الله ﷺ : « حتى وجدت برد لسانه على يدي ، ولولا دعوة سليمان لأصبح موثقاً حتى يراه الناس » ورواه أحمد وأبو داود^(٧٨) من حديث أبي سعيد ، وفيه : « فأهويت بيدي ، فما زلت أخنقه حتى وجدت برد لعابه بين أصبعي هاتين : الإبهام والتي تليها » وهذا فعله في الصلاة ، وهذا مما احتج به العلماء على جواز مثل هذا في الصلاة ، وهو كدفع المار ، وقتل الاسودين ، والصلاة حال المسابقة .

وقد تنازع العلماء في شيطان الجن إذا مر بين يدي المصلي : هل يقطع ؟ على قولين هما قولان في مذهب أحمد ، كما ذكرهما ابن حامد وغيره .

أحدهما : يقطع لهذا الحديث . ولقوله لما أخبر أن مرور الكلب الأسود يقطع الصلاة : « الكلب الأسود شيطان »^(٧٩) فعلل بأنه شيطان . وهو كما قال رسول الله ﷺ : فإن الكلب الأسود شيطان الكلاب ، والجن تتصور بصورته كثيراً وكذلك بصورة القط^(٨٠) الأسود ؛ لأن السواد أجمع للقوى الشيطانية من غيره وفيه قوة الحرارة .

[ومما يتقرب به إلى الجن الذبائح ، فإن من الناس من يذبح للجن وهو من الشرك الذي حرمه الله ورسوله ، وروى أنه نهى عن ذبائح الجن]^(٨١) . وإذا برىء

(٧٨) قلت : أبو داود لم يخرج هذا القدر المذكور من الحديث ، وإنما أخرج أبو داود بإسناد الحديث المذكور والذي هو عند أحمد قطعة منه فقط وهو « من استطاع منكم أن لا يحول بينه وبين القبلة أحد فليفعل » .

(٧٩) جزء من حديث أخرجه الجماعة إلا البخاري من حديث أبي ذر (٨٠) وقع في روايه عبد الرزاق - لحديث أبي هريرة السابق - « عرض لي في صورة هر ، (١ / ٥٥٥ فتح الباري) . وقد فهم طائفة من العلماء من أحاديث أبي الدرداء وأبي سعيد وعائشة السابقة أن الشيطان حينما عرض للنبي ﷺ في صلاته إنما عرض له في صورته التي خلقه الله عليها

(٨١) هذا القدر من الكلام ليس له تعلق واضح بالموضوع المقصود ، وما روى من النهي عن ذبائح الجن فقد أورده ابن الجوزي في الموضوعات من حديث أبي هريرة ، وذكره ابن حبان في ترجمة عبد الله بن أذينة وقال عنه « منكر الحديث جداً ... لا يجوز الاحتجاج به بحال ، وقد تعقبه السيوطي بأن أبا عبيد والبيهقي أخرجاه من طريق عمر بن هارون يعني من غير طريق عبد الله بن أذينة ، قال الألباني : « وهذا التعقيب لا طائل تحته فإن عمر بن هارون متفق على تضعيفه » وقد أقر الألباني حكم ابن الجوزي عليه بأنه موضوع والمراد بذبائح الجن أنهم كانوا إذا اشتروا داراً أو بنوها أو استخرجوا عينا

المصاب بالدعاء والذكر وأمر الجن ونهيههم وانتهازهم وسبيهم ولعنهم ونحو ذلك من الكلام حصل المقصود ، وإن كان ذلك يتضمن مرض طائفة من الجن أو موتهم فهم الظالمون لأنفسهم ، إذا كان الراقى الداعي المعالج لم يتعد عليهم كما يتعدى عليهم كثير من أهل العزائم ، فيأمرهم بقتل من لا يجوز قتله ، وقد يحبسون من لا يحتاج إلى حبسه ، ولهذا قد تقاتلهم الجن على ذلك ، ففيهم من تقتله الجن أو تمرضه ، وفيهم من يفعل ذلك بأهله وأولاده أو دوابه .

وأما من سلك في دفع عداوتهم مسلك العدل الذي أمر الله به ورسوله فإنه لم يظلمهم . بل هو مطيع لله ورسوله في نصر المظلوم وإغاثة الملهوف ، والتنقيص عن المكروب بالطريق الشرعي التي ليس فيها شرك بالخالق ولا ظلم للمخلوق ، ومثل هذا لا تؤذيه الجن ، إما لمعرفتهم بأنه عادل ؛ وإما لعجزهم عنه . وإن كان الجن من العفاريت وهو^(٨٢) ضعيف فقد تؤذيه ، فينبغي لمثل هذا أن يحترز بقراءة العوذ ، مثل آية الكرسي ، والمعوذات ، والصلاة ، والدعاء ، ونحو ذلك مما يقوى الإيمان ويجنب الذنوب التي بها يسلطون عليه ، فإنه مجاهد في سبيل الله ، وهذا من أعظم الجهاد ، فليحذر أن ينصر العدو عليه بذنوبه ، وإن كان الأمر فوق قدرته فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها ، فلا يتعرض من البلاء لما لا يطيق .

ومن أعظم ما ينتصر به عليهم آية الكرسي ، فقد ثبت في صحيح البخارى^(٨٣) حديث أبى هريرة قال ؛ وكلمنى رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان ، فأتاني أت فجعل يحثو من الطعام ، فأخذته وقلت لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ ، قال : إني

= وما أشبه ذلك ذبحوا لها ذبيحة مخافة أن يصيبهم فيها شيء من أذى الجن إن لم يذبحوا

قال الألبانى « لقد علمت أن الحديث غير صحيح ، فالعمدة في النهى عن هذه الذبائح الأحاديث الصحيحة في النهى عن الطيرة » (١ / ٢٧٢ الضعيفة) . وقد روى مراسلاً من حديث الزهرى وهو أمثل

(٨٢) الضمير للراقى المعالج

(٨٣) أورده البخارى بصورة المعلق حيث قال « وقال عثمان بن الهيثم ، وذكره بسنده إلى أبى هريرة وقد زعم بعضهم أنه منقطع ، وليس كذلك فإن عثمان من شيوخ البخارى وقد ذكره عنه بصيغة الجزم ، قال النووى : « وهذا متصل » ، وقال ابن القيم في مثل هذا « فهو بمنزلة قوله عن » (إغاثة اللهفان ١ / ٢٦٠) يقصد بذلك أنه موصول . قال ابن حجر : « وقد وصله النسائى والاسماعيلى وأبو نعيم من طرق إلى عثمان المذكور » (٤ / ٤٨٨ فتح)

محتاج وعلي عيال ولي حاجة شديدة ، قال : فخليت عنه ، فأصبحت فقال رسول الله ﷺ : « يا أبا هريرة ! ما فعل أسيرك البارحة ؟ » قلت : يا رسول الله ! شكى حاجة شديدة وعيالا فرحمته وخليت سبيله . قال « أما إنه قد كذبك وسيعود » فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله ﷺ فرصدته ، فجاء يحثو من الطعام فأخذته ، فقلت : لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ ، قال : دعني فإنني محتاج وعلي عيال لا أعود ، فرحمته فخليت سبيله ، فأصبحت فقال لي رسول الله ﷺ : « يا أبا هريرة ما فعل أسيرك ؟ » قلت : يا رسول الله شكى حاجة وعيالا فرحمته فخليت سبيله قال : « أما إنه قد كذبك وسيعود » فرصدته الثالثة فجاء يحثو من الطعام فأخذته ، فقلت : لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ وهذا آخر ثلاث مرات ، تزعم أنك لا تعود ثم تعود ، قال : دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها ، قلت : ما هن ؟ قال : إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي : (الله لا إله إلا هو الحي القيوم) حتى تختم الآية ، فإنك لن يزال عليك من الله حافظ ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح ، فخليت سبيله ، فأصبحت فقال لي رسول الله ﷺ : « ما فعل أسيرك البارحة ؟ » قلت : يا رسول الله ! زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخليت سبيله ، قال : ماهي ؟ قلت : قال لي : إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم الآية : (الله لا إله إلا هو الحي القيوم) وقال لي : لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح » وكانوا أحرص شيء على الخير ، فقال النبي ﷺ : « أما إنه قد صدقك وهو كذوب ، تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة ؟ » قلت : لا . قال : « ذاك شيطان » (٨٤)

(٨٤) وهذا الحديث من جملة ما يستدل به على تصور الشيطان في صور شتى وقد مضى الكلام عنه ، ويدهل هو واضرابه على أن الانسان يمكنه مشاهدة الشياطين ومخاطبتهم ، وقد روى البيهقي في مناقب الشافعي بإسناده عن الربيع سمعت الشافعي يقول : من زعم أنه يرى الجن أبطلنا شهادته إلا أن يكون نبيا ، أنهى قال ابن حجر معلقا على ذلك : « وهذا محمول على من يدعى رؤيتهم على صورهم التي خلقوا عليها ، وأما من ادعى أنه يرى شيئا منهم بعد أن يتطور على صور شتى من الحيوان فلا يقدح فيه وقد تواردت الاخبار بتطورهم في الصور » (٦ / ٢٤٤ فتح) ، وقد احتج الشافعي لذلك بقوله تعالى « إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم » قال ابن حجر « قوله تعالى : إنه يراكم .. مخصوص بما إذا كان على صورته التي خلق عليها » (٤ / ٤٨٨ فتح) .

وقد وقع لمعاد بن جبل مثل ما وقع لأبي هريرة أخرجه الطبراني وأبو بكر الروياني ، وفي حديث معاذ من الزيادة « وخاتمة سورة البقرة آمن الرسول إلى آخرها » وفيه أيضا أن الشيطان أقبل في صورة فيل قال ابن حجر : « وقد وقع أيضا لأبي بن كعب عند النسائي ، وأبي أيوب الانصاري عند الترمذي ، وأبي أسيد الانصاري عند الطبراني =

ومع هذا فقد جرب المجربون الذين لا يحصون كثرة أن لها من التأثير في دفع الشياطين وإبطال أحوالهم ما لا ينضب من كثرته وقوته^(٨٥) . فإن لها تأثيرا عظيما

وزيد بن ثابت عند ابن أبي الدنيا قصص في ذلك إلا أنه ليس فيها ما يشبه قصة أبي هريرة إلا قصة معاذ التي ذكرتها وهو محمول على التعدد « (٤ / ٤٨٩) ، قلت حديث أبي بن كعب إنما أخرجه النسائي في « اليوم والليلة » وقد أخرجه أيضا ابن حبان والحاكم والطبراني وفيه « فإذا هو بداية شبه الغلام المحتلم ... قلت ناولني يدك فناولني يده فإذا يد كلب وشعر كلب » ، وفي حديث أبي أيوب ، « وكانت الغول تجيء فتأخذ منه » أخرجه الترمذي وقال : « حديث حسن غريب » وصححه الحاكم ، وأخرج أبو نعيم حديث أبي أيوب من وجه آخر وفيه أنها كانت على صورة هرثم تحولت عجوزاً وحديث أبي أسيد نحو حديث أبي أيوب وفيه « وأدلك على آية تقرؤها في بيتك فلا يخالف إلى أهلك وتقرؤها على إنائك فلا يكشف غطاؤه وهي آية الكرسي » وفي حديث زيد بن ثابت « فما الذي يعيذنا منكم قال آية الكرسي » وكل هذا فيه رؤية وخطاب للجن ، وفيه رد على الشافعي .

(٨٥) وقد جاءت نصوص كثيرة في بيان ما يعتصم به الإنسان من الشياطين ويستدفع به شرهم فمن ذلك قراءة سورة البقرة لما أخرجه مسلم والترمذي من حديث أبي هريرة مرفوعاً « لا تجعلوا بيوتكم مقابر إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة » ، وأخرج ابن حبان في صحيحه عن سهل ابن سعد قال : قال رسول الله ﷺ « إن لكل شيء سناما وإن سنام القرآن سورة البقرة من قراها في بيته ليلا لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة أيام » وأخرج أيضا عن النعمان بن بشير أن رسول الله ﷺ قال : « الأيتان ختم بهما سورة البقرة لا تقرأن في دار ثلاث ليال فيقربها شيطان » وأخرجه الترمذي وقال : غريب وفي نسخة : حسن غريب وقد صححه الحاكم وكذلك صححه الألباني (٢ / ١٢٣ صحيح الجامع) ، وفي الصحيحين عن أبي مسعود مرفوعاً من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه « قيل : كفتاه من الشيطان والآفات ، وقيل : كفتاه من قيام الليل ، والعموم أولى ومن ذلك قراءة المعوذتين لما أخرجه الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث أبي سعيد « كان رسول الله ﷺ يتعوذ من الجان وعين الإنسان حتى نزلت المعوذتان فلما نزلت أخذ بهما وترك ماسواهما » قال الترمذي : حسن غريب ، وصححه الألباني (٤ / ٢٥٥ صحيح الجامع) ومن ذلك قول بسم الله ﷻ لقوله ﷻ « لا تقل تعس الشيطان ، فإنه يعظم حتى يصير مثل البيت ويقول بقوتي صرعت ، ولكن قل بسم الله فإنك إذا قلت ذلك تصاغر حتى يصير مثل الذباب » أخرجه أحمد وغيره وصححه الألباني « صحيح الجامع ٦ / ١٦٩ » ومن ذلك الاستعاذه بالله منه لقوله تعالى : ﴿ وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم ﴾ ولقوله تعالى : ﴿ وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم ﴾ ولقوله تعالى : ﴿ قل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون ﴾ ولقوله صلى ﷺ للذي اشتد غضبه حتى احمر وجهه « انى لأعلم كلمة

في دفع الشيطان عن نفس الإنسان ، وعن المصروع ، وعن من تعينه الشياطين ، مثل أهل الظلم والغضب وأهل الشهوة والطرب ، وأرباب السماع المكاء والتصدية^(٨٦) ، إذا قرئت عليهم بصدق دفعت الشياطين ، وأبطلت الأمور التي يخيّلها الشيطان ، ويبطل ما عند إخوان الشياطين من مكاشفة شيطانية وتصرف شيطاني ، إذ كانت الشياطين يوحون إلى أوليائهم بأمور يظنها الجهال من كرامات أولياء الله المتقين ، وإنما هي من تلبيسات الشياطين على أوليائهم المغضوب عليهم والضالين.

والصائل المعتدى يستحق دفعه سواء كان مسلماً أو كافراً، وقد قال النبي ﷺ : « من قتل دون ماله فهو شهيد ومن قتل دون دمه فهو شهيد ، ومن قتل دون دينه فهو شهيد »^(٨٧) فإذا كان المظلوم له أن يدفع عن مال المظلوم ولو بقتل

لوقالها لذهب عنه ما يجده ، لو قال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم « متفق عليه من حديث سليمان بن صرد ومن ذلك الأذان لقوله ﷺ « إذا نودي بالصلاة أدبر الشيطان وله ضراط ، متفق عليه من حديث أبي هريرة . ومن ذلك الأذكار الكثيرة كقوله ﷺ « من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له . له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب ، وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك » متفق عليه من حديث أبي هريرة .

وكقوله ﷺ « لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال : اللهم جنبني الشيطان وجنب الشيطان ما رزقني فإن كان بينهما ولد لم يضره الشيطان ولم يسلط عليه » متفق عليه من حديث ابن عباس وكقوله ﷺ : « إذا دخل الرجل بيته فذكر الله عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان : لا مبيت لكم ولا عشاء ، وإذا دخل فلم يذكر الله عند دخوله قال الشيطان أدركتم المبيت ، وإذا لم يذكر الله عند طعامه قال : أدركتم المبيت والعشاء » أخرجه مسلم وأبو داود وابن ماجه من حديث جابر بن عبد الله ومن ذلك ذكر الله سبحانه وتعالى فقد جاء في حديث الحارث الأشعري مرفوعا « إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بها ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها » وفيه : « وأمركم أن تذكروا الله فإن مثل ذلك كمثل رجل خرج العدو في أثره سراعاً حتى إذا أتى على حصن حصين فأحرز نفسه منهم ، كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله » أخرجه الترمذي وقال : حسن صحيح غريب والاحاديث في ذلك كثيرة محلها كتب الأذكار

(٨٦) المكاء : الصغير ، التصدية : التصفيق

(٨٧) أخرجه الترمذي بذلك اللفظ من حديث سعيد بن زيد وقال « حسن صحيح » وأخرجه أبو داود من حديثه بلفظ « من قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون أهله أو دون دمه أو دون دينه فهو شهيد » وأخرجه النسائي كراوية أبي داود وليس فيه « أو » إنما فيه واو الجمع ، وله عنده روايات كثيرة ، والفقرة الأولى منه متفق عليها من حديث عبد الله بن

الصائل العادى فكيف لا يدفع عن عقله وبدنه وحرمة ؟ ! فان الشيطان يفسد عقله ويعاقبه فى بدنه ، وقد يفعل معه فاحشة (إنسى بإنسى)^(٨٨) وإن لم يندفع إلا بالقتل جاز قتله .

وأما إسلام^(٨٩) صاحبه والتخلى عنه مثل إسلام أمثاله من المظلومين ، وهذا فرض على الكفاية مع القدرة ، ففى الصحيحين عن النبى ﷺ أنه قال : « المسلم أخو المسلم لا يسمله ولا يظلمه »^(٩٠) فإن كان عاجزا عن ذلك أو هو مشغول بما هو أوجب منه أو قام به غيره لم يجب ، وإن كان قادرا وقد تعين عليه ولا يشغله عما هو أوجب منه وجب عليه .

وأما قول السائل : هل هذا مشروع ؟ فهذا من أفضل الاعمال ، وهو من أعمال الأنبياء والصالحين ، فإنه مازال الأنبياء والصالحون يدفعون الشياطين عن بنى آدم بما أمر الله به ورسوله ، كما كان المسيح يفعل ذلك ، وكما كان نبينا ﷺ يفعل ذلك ، فقد روى أحمد فى مسنده وأبو داود^(٩١) فى سننه من حديث مطرب بن عبد الرحمن الأعنق قال : حدثتنى أم أبان بنت الوازع بن زارع بن عامر العبدى ، عن أبيها أن جدها الزارع انطلق إلى رسول الله ﷺ فانطلق معه بابن له مجنون - أو ابن أخت له - قال جدي : فلما قدمنا على رسول الله ﷺ قلت : إن معي ابنائي - أو ابن أخت لي - مجنون ، أتيتك به تدعو الله له ، قال : « أثنتى به » قال : عمرو

(٨٨) فى آكام المرجان « ولو فعل إنسى هذا بإنسى ولم يندفع الا بالقتل جاز قتله »

(٨٩) يعنى تركه ، وهذه الفقرة رد على جزء من السؤال المشار اليه وهو هل يجوز للراقى المعالج للمصروع أن يتركه بغير معالجة ويتخلى عنه

(٩٠) أخرجاه من حديث عبد الله بن عمر قال ابن حجر « ولا يسمه : أى لا يتركه مع من يؤذيه ولا فيما يؤذيه بل ينصره ويدفع عنه وهذا أخص من ترك الظلم ، وقد يكون ذلك واجبا وقد يكون مندوبا بحسب اختلاف الأحوال » (٩٧ / ٥ فتح)

(٩١) ليس للزارع فى الكتب الستة إلا حديثا واحدا ولم يخرج سوى أبى دود وهو بالإسناد الذى ذكره المصنف لكن أبا داود لم يخرج هذا القدر الذى ذكره المصنف ، وإنما اقتصر على قصة تقبيل يد الرسول ورجليه وكلامه لأشج عبد القيس . وقد أخرجه البخارى فى الأدب المفرد مقتصرًا على تقبيل اليدين والرجلين .

وقد قال ابن عبد البر فى حديث أبى دود « حسن » (١٤ / ١٣ عون المعبود) وقال ابن حجر هو من جيد الاحاديث التى رويت فى تقبيل اليد (١١ / ٤٨ فتح البارى) وأما القصة التى ذكرها المؤلف فقد أخرجه أحمد كما قال ، وأبو داود الطيالسى عن مطرب بن عبد الرحمن الأعنق به (٢ / ٢٤٥ اسد الغابة) وأم أبان قال ابن حجر عنها « مقبولة » يعنى عند المتابعة وإلا فليته ، ولا متابعا لها فى هذا الحديث فيما علمت .

فانطلقت به إليه وهو في الركاب ، فأطلقت عنه وألقيت عنه ثياب السفر والبسته ثوبين حسنين ، وأخذت بيده حتى انتهيت به إلى رسول الله ﷺ فقال : « ادنه مني اجعل ظهره مما يلي » قال : بمجامع ثوبه من أعلاه وأسفله ، فجعل يضرب ظهره حتى رأيت بياض إبطيه ، ويقول : « أخرج عدو الله ! أخرج عدو الله ! » فأقبل ينظر نظر الصحيح ليس بنظره الاول ، ثم أقعده رسول الله ﷺ بين يديه ، فدعا له بماء فمسح وجهه ودعا له ، فلم يكن في الوفد أحد بعد دعوة رسول الله ﷺ يفضل عليه .

وقال أحمد^(٩٢) في المسند : ثنا عبد الله بن نمير ، عن عثمان بن حكيم أنا عبد الرحمن بن عبد العزيز ، عن يعلى بن مرة قال : لقد رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثاً ما رأها أحد قبلي ، ولا يراها أحد بعدي لقد خرجت معه في سفر حتى إذا كنا ببعض الطريق مررنا بامرأة جالسة معها صبي لها ، فقالت : يا رسول الله ! هذا صبي أصابه بلاء وأصابنا منه بلاء ، يؤخذ في اليوم ما أدرى كم مرة ، قال : « ناوليني » ، فرفعته إليه فجعله بينه وبين واسطة الرجل ثم فغر « فاه » فنفت فيه ثلاثاً ، وقال : « بسم الله أنا عبد الله أخسأ عدو الله » ثم ناولها إياه ، فقال : القينا في الرجعة في هذا المكان فآخبرينا ما فعل ، قال : فذهبنا ورجعنا فوجدناها في ذلك المكان معها شياه ثلاث ، فقال : ما فعل صبيك ؟ فقالت : والذي بعثك بالحق ما حسسنا منه شيئاً حتى الساعة فاجترر هذه الغنم ، قال : انزل خذ منها واحدة ورد البقية . وذكر الحديث بتمامه .

ثنا وكيع قال : ثنا الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن يعلى بن مرة ، عن أبيه قال وكيع : مرة يعنى الثقفي ، ولم يقل : مرة عن أبيه : أن امرأة جاءت إلى النبي ﷺ معها صبي لها به لم ، فقال النبي ﷺ : « أخرج عدو الله أنا رسول الله » قال : فبرأ ، قال : فأهدت إليه كبشين وشيئاً من أقط وشيئاً من سمن قال : فقال رسول الله ﷺ : « خذ الأقط والسمن ، وخذ أحد الكبشين ورد عليها الآخر » .

ثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر ، عن عطاء بن السائب ، عن عبد الله بن حفص عن يعلى بن مرة الثقفي قال : ثلاثة أشياء رأيتها من رسول الله ﷺ وذكر الحديث ، وفيه قال : ثم سرنا فمررنا بماء فأتته امرأة بابن لها به جنة ، فأخذ النبي ﷺ بمنخره فقال : « أخرج اني محمد رسول الله » قال : ثم سرنا فلما رجعنا من سفرنا مررنا بذلك الماء فأتته المرأة بجزر ولبن ، فأمرها أن ترد الجز وأمر أصحابه

(٩٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢ / ٦١٧) من طريق يونس بن بكير عن الأعمش به بتمامه وقال : « صحيح الإسناد » ووافقه الذهبي .

فشربوا من اللبن ، فسألهما عن الصبى فقالت : والذي بعثك بالحق ما رأينا منه ريباً بعدك » . (٩٣) ولو قدر أنه لم ينقل ذلك لكون مثله لم يقع عند الأنبياء ، لكون

(٩٣) وقد روى ابن عساكر من حديث أسامة بن زيد قريباً من حديث يعلى (أكام المرجان / ١٤) وأخرج أحمد والدارمي والطبراني والبيهقي وأبو نعيم عن ابن عباس : « أن امرأة جاءت بابن لها فقالت : يا رسول الله إن بابني هذا جنونا ، وإنه يأخذه عند غدائنا وعشائنا فيفسد علينا ، فمسح رسول الله ﷺ ودعاه فثع ثعة فخرج من جوفة مثل الجرو الأسود فشفى » (٢ / ٢٩٠) الخصائص الكبرى (قلت : لفظ « فشفى » ورد في لسان العرب وفي أكام المرجان هكذا « فسعى » فالأولى من الشفاء والآخر من السعى أى المشى السريع ، وثع يعنى قاء ، يعنى أنه قد خرج من فم هذا الفتى شيء مثل ولد الكلب ، وقد ورد أكثر من حديث في كيفية معالجة المصروع فمن ذلك ما أخرجه أبو داود - وصححه النووي - من حديث خارجه بن الصلت عن عمه « أنه أتى النبي ﷺ فأسلم ثم أقبل راجعاً من عنده فمر على قوم عندهم رجل مجنون موثق بالحديد فقال أهله : إنا حُذِّثنا أن صاحبكم هذا قد جاء بخير فهل عندكم شيء تدأوونه به فرقيته بفاتحة الكتاب فبرأ فاعطوني مائة شاة ، فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته فقال : هل قلت غير هذا ، قلت : لا . قال : خذها فلعمري لمن أكل برقية « باطل لقد أكلت برقية حق » . وفي رواية : « فرقاها بفاتحة الكتاب ثلاثة أيام غدوة وعشية كلما ختمها جمع بزاقة ثم تفل » . ومن ذلك ما أخرجه ابن ماجه من حديث أبي ليلى قال : كنت جالساً عند النبي ﷺ إذ جاءه أعرابي فقال ان لي اخاً وجعاً ، قال : ما وجع أخيك ؟ قال : به لم ، قال : اذهب فأتني به ، قال : فذهب فجاء به فأجلسه بين يديه ، فسمعتة عوده بفاتحة الكتاب ، وأربع آيات من أول البقرة وأيتين من وسطها « وإلهكم إله واحد » وآية الكرسي ، وثلاث آيات من خاتمها وآية من آل عمران أحسبه قال « شهد الله أنه لا إله إلا هو » وآية من الأعراف « إن ربكم الله الذي خلق » الآية من المؤمنين « ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به » وآية من الجن « وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولداً » وعشر آيات من أول الصافات ، وثلاث آيات من آخر الحشر وقل هو الله أحد ، والمعوذتين فقام الأعرابي قد برىء ليس به بأس ، وفيه : أبو جناب الكلبي يحيى بن أبي حية وهو ضعيف ومن ذلك ما أخرجه ابن السني - نقلته من الأذكار - عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قرأ في أذن مبتلى فافاق فقال له رسول الله ﷺ : « ما قرأت في أذنه قال : قرأت « أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً ، حتى فرغ من آخر السورة ، فقال رسول الله ﷺ لو أن رجلاً موقناً قرأ بها على جبل لزال » ، وأخرجه أيضاً بن أبي حاتم كما ذكر ابن كثير .

وقد ذكر ابن القيم في ذلك كلاماً رصينا فقال : « وعلاج هذا النوع يكون بأمرين : أمر من جهة المصروع وأمر من جهة المعالج ، فالذي من جهة المصروع يكون بقوة نفسه ، وصدق توجهه إلى فاطر هذه الأرواح وبارئها ، والتعوذ الصحيح الذي قد تواطأ عليه القلب واللسان ، فإن هذا نوع محاربة ، والمحارب لا يتم له الانتصاف من عدوه بالسلاح إلا بأمرين : أن يكون السلاح صحيحاً في نفسه جيداً وأن يكون الساعد قوياً فمتى تخلف أحدهما لم يغن السلاح كثير طائل فكيف إذا عدم الأمران جميعاً : يكون القلب خراباً من التوحيد والتوكل ، والتقوى والتوجه ، ولا سلاح له .

الشياطين لم تكن تقدر تفعل ذلك عند الأنبياء وفعلت ذلك عندنا ، فقد أمرنا الله ورسوله من نصر المظلوم والتنفيس عن المكروب ونفع المسلم بما يتناول ذلك .

وقد ثبت في الصحيحين^(٩٤) حديث الذين رقوا بالفاتحة ، وقال النبي ﷺ : « وما أدراك أنها رقية » ، وأذن لهم في أخذ الجعل على شفاء اللديغ بالرقية ، وقد قال النبي ﷺ للشيطان الذى أراد قطع صلاته^(٩٥) : « أعوذ بالله منك ، ألعنك بلعنة الله التامة ثلاث مرات » وهذا كدفع ظالمى الإنس من الكفار والفجار ، فإن النبي ﷺ وأصحابه وإن كانوا لم يروا الترك ولم يكونوا يرمون بالقسى الفارسية ونحوها مما يحتاج إليه في قتال ، فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه أمر بقتالهم^(٩٦) ،

والثانى : من جهة المعالج بأن يكون فيه هذان الامران أيضا ، حتى إن من المعالجين من يكتفى بقوله « اخرج منه » أو يقول : « بسم الله » أو يقول : « لاحول ولا قوة إلا بالله » والنبي ﷺ كان يقول : « اخرج عدو الله . أنا رسول الله . »

وشاهدت شيخنا يُرسل إلى المصروع من يخاطب الروح التى فيه ويقول : قال لك الشيخ اخرجى ، فإن هذا لا يحل لك فيفريق المصروع ، وربما خاطبها بنفسه ، وربما كانت الروح ماردة فيخرجها بالضرب فيفريق المصروع ولا يحس بال ألم ، وقد شاهدنا نحن وغيرنا منه ذلك مراراً ، وكان كثيراً ما يقرأ فى اذن المصروع : افحسبتم انما خلقناكم عبثاً وانكم إلينا لاترجعون . وحدثنى أنه قرأها مرة فى اذن المصروع فقالت الروح : نعم ، ومدبها صوته ، قال : فأخذت له عصا فضربت به فى عروق عنقه حتى كُتت يداى من الضرب ، ولم يشك الحاضرون أنه يموت لذلك الضرب ففى أثناء الضرب قالت : أنا أحبه فقلت لها : هو لا يحبك ، قالت : أنا أريد أن أحج به فقلت لها : هو لا يريد أن يحج منك ، فقالت : أنا أدعه كرامة لك قال : قلت : لا ولكن طاعة لله ورسوله ، قالت : فانا أخرج منه ، قال : فقعد المصروع يلتفت يميناً وشمالاً ، وقال : ماجأبى إلى حضرة الشيخ ، قالوا له : وهذا الضرب كله ؟ فقال : وعلى أى شيء يضربنى الشيخ ولم أذنب ، ولم يشعر بأنه وقع به ضرب البتة .

وكان يُعالج بأية الكرسي ، وكان يأمر بكثرة قراءتها المصروع ومن يُعالجه بها ، وبقراءة المعوذتين . وبالجمله فهذا النوع من الصرع وعلاجه لا ينكره إلا قليل الحظ من العلم والعقل والمعرفة ، وأكثر تسلط الأرواح الخبيثة على أهله تكون من جهة قلة دينهم ، وخراب قلوبهم وألسنتهم من حقائق الذكر والتعاويد ، والتحصينات النبوية الايمانية .» (زادالمعاد ٤ / ٦٧ - ٦٩) .

(٩٤) أخرجه من حديث أبى سعيد الحدرى

(٩٥) أخرجه مسلم من حديث أبى الدرداء

(٩٦) قلت : كونه ﷺ أخبر بأن أمته ستقاتل الترك فهذا مما أخرجه أصحاب الكتب الستة من حديث أبى هريرة وأما كونه أمر بقتالهم فهذا مما لم نطلع عليه والذي تحت أيدينا إنما هو على العكس مما ذكره المصنف فقد روى أبو داود والنسائى عن رجل من أصحاب النبي

وأخبر أن أمته ستقاتلهم . ومعلوم أن قتالهم النافع إنما هو بالقسي الفارسية ، ولو قوتلوا بالقسي العربية التي تشبه قوس القطن لم تغن شيئا ، بل استطالوا على المسلمين بقوة رميهم ، فلا بد من قتالهم بما يقهرهم .

وقد قال بعض المسلمين لعمر بن الخطاب : « إن العدو إذا رأيناهم قد لبسوا الحرير وجدنا في قلوبنا روعة ، فقال : وأنتم فالبسوا كما لبسوا » (٩٧) ، وقد أمر

= **مرفوعا** « دعوا الحبشة ما ودعوكم ، واتركوا الترك ما تركوكم » وقد حسنه الألبانى (صحيح الجامع ٢ / ١٤٥) . وقال ابن حجر : « وقد كان مشهورا في زمن الصحابة حديث « اتركوا الترك ما تركوكم » فروى الطبرانى من حديث معاوية قال « سمعت رسول الله ﷺ يقول » وروى أبو يعلى من وجه آخر عن معاوية بن خديج قال : « كنت عند معاوية فأتاه كتاب عامله أنه وقع بالترك وهزمهم ، فغضب معاوية من ذلك ثم كتب إليه لا تقاتلهم حتى يأتيك أمرى . فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن الترك تجل العرب حتى تلحقها بمنابت الشيخ » (٦ / ٦٠٩ فتح البارى) ، وقد اختلف في أصل الترك وأما بلادهم فقد قيل إن بلادهم ما بين مشارق خراسان إلى مغارب الصين وشمال الهند إلى أقصى المعمور » (٦ / ٦٠٨ فتح) ومن أجناس الترك : التتار ، الديلم ، الغز ، السلجوقيون ، السامانيون .

قال الخطابى : « إن الجمع بين قوله تعالى : « قاتلوا المشركين كافة » وبين هذا الحديث أن الآية مطلقة والحديث مقيد فيحمل المطلق على المقيد ويجعل الحديث مخصصا لعموم الآية (١١ / ٤٠٩ عون المعبود) وقال السهارنفورى : « الأمر في الحديث للرخصة والإباحة لا للوجوب » (بذل المجهود ١٧ / ٢١٦) قلت : ليس هناك من تعارض بين الآية والحديث والأمر كما يبدو لى أن الرسول ﷺ قد أشار على المسلمين بتقديم ما هو أكد في حقهم من قتال العدو القريب كما قال تعالى « قاتلوا الذين يلونكم من الكفار » أو قتال العدو الذى يسهل الانتصار عليه حتى تقوى شوكة المسلمين ويتسع سلطانهم وحينئذ يسهل عليهم قتال العدو البعيد أو الشديد ، وقد أخبر ﷺ بالقتال الكائن بين المسلمين والترك فلم يكن قوله السابق حينئذ مانعا للمسلمين من قتال الترك عند حصول القدرة والاستطاعة .

(٩٧) وقد روى عمر حديث النهى عن لباس الحرير ، أخرجه الشيخان وغيرهما ، وقد أخرج الشيخان أيضا من حديث أنس ترخيص الرسول ﷺ لعبد الرحمن بن عوف والزيبر في قميص من حرير من حجة كانت بهما . قال ابن حجر « وجعل الطبرى جوازه في الغزو مستتباً من جوازه للحكمة » قال « وحكى ابن حبيب عن ابن الماجشون أنه يستحب في الحرب وقال المهلب : لباسه في الحرب لإرهاب العدو وهو مثل الرخصة في الاختيال في الحرب » (٦ / ١٠١ فتح البارى) وقد بوب البخارى على حديث أنس السابق بقوله : باب الحرير في الحرب ، وقد ادعى البعض خصوصية الرخصة ، بعبد الرحمن والزيبر . قال ابن حجر « قد جنح إلى ذلك عمر رضى الله عنه : فروى ابن عساكر عن طريق ابن عوف عن ابن سيرين « أن عمر رأى على خالد بن الوليد قميص حرير فقال : ما هذا ، =

النبي ﷺ أصحابه في عمرة القضية بالرمل والاضطباع^(٩٨) . يُرَى المشركين قوتهم ، وإن لم يكن هذا مشروعاً قبل هذا ، ففعل لأجل الجهاد مالم يكن مشروعاً بدون ذلك .

ولهذا قد يحتاج في إبراء المصروع ودفع الجن عنه إلى الضرب^(٩٩) ، فيضرب ضرباً كثيراً جداً والضرب إنما يقع على الجنى ولا يحس به المصروع ، حتى يفيق المصروع ويخبر أنه لم يحس بشيء من ذلك ولا يؤثر في بدنه ، ويكون قد ضرب بعضاً قوية على رجله نحو ثلاثمائة أو أربعمائه ضربة وأكثر وأقل ، بحيث لو كان على الإنسى لقتله ، وإنما هو على الجنى والجنى يصيح ويصرخ ، ويحدث الحاضرين بأمور متعددة كما قد فعلنا نحن هذا وجربناه مرات كثيرة يطول وصفها بحضرة خلق كثيرين .

وأما الاستعانة عليهم بما يقال ويكتب مما لا يعرف معناه فلا يشرع ، لاسيما إن كان فيه شرك فإن ذلك محرم ، وعامة ما يقوله أهل العزائم فيه شرك ، وقد يقرأون مع ذلك شيئاً من القرآن ويظهرونه ويكتبون ما يقولونه من الشرك ، وفي الاستشفاء بما شرعه الله ورسوله ما يغني عن الشرك وأهله .

والمسلمون وإن تنازعوا في جواز التداوي بالمحرمات كالميتة والخنزير ، فلا يتنازعون في أن الكفر والشرك لا يجوز التداوي به بحال ، لأن ذلك محرم في كل حال ، وليس هذا كالتكلم به عند الإكراه ، فإن ذلك^(١٠٠) إنما يجوز إذا كان قلبه مطمئناً بالإيمان . والتكلم به إنما يؤثر إذا كان بقلب صاحبه ، ولو تكلم به مع طمأنينة قلبه بالإيمان لم يؤثر . والشيطان إذا عرف أن صاحبه مستخف بالعزائم لم يساعده ، وأيضاً فإن المكره مضطر إلى التكلم به ، ولا ضرورة إلى إبراء المصاب به لوجهين .

أحدهما^(١٠١) : أنه قد لا يؤثر ، فما أكثر من يعالج بالعزائم فلا يؤثر ، بل

= فذكر له خالد قصة عبد الرحمن بن عوف فقال : وأنت مثل عبد الرحمن أولك مثل ما لعبد الرحمن ثم أمر من حضره فمزقوه " رجاله ثقات إلا أن فيه انقطاعاً " (٦ / ١٠١ فتح الباري) فالله أعلم أي الأثرين أصح ، لكن الظاهر عدم الخصوصية إذ لا دليل عليها .
(٩٨) الرَّمْل : الإسراع وهو شبيه بالهرولة ، الاضطباع : الكشف عن النكب الأيمن وستر الأيسر
(٩٩) ويدل عليه حديث الزارع السابق .

(١٠٠) أي التكلم بالكفر عند الإكراه
(١٠١) كانت في الأصل : " أنه قد لا يؤثر أكثر مما يؤثر من يعالج بالعزائم فلا يؤثر بل يزيده شراً " وهي كذلك في نسخة منير الدمشقي ، والتصحيح من " آكام المرجان " .

يزيده شراً ..

والثاني : أن في الحق ما يغنى عن الباطل .

والناس في هذا الباب ثلاثة أصناف : قوم يكذبون بدخول الجنى في الإنس ، وقوم يدفعون ذلك بالعزائم المذمومة ، فهؤلاء يكذبون بالموجود وهؤلاء يعصون بل يكفرون بالمعبود ، والأمة الوسط تصدق بالحق الموجود ، وتؤمن بالاله الواحد المعبود ، وبعبادته ودعائه وذكره واسمائه وكلامه ، فتدفع شياطين الإنس والجن .

وأما سؤال الجن وسؤال من يسألهم فهذا إن كان على وجه التصديق لهم في كل ما يخبرون به والتعظيم للمستؤل فهو حرام ، كما ثبت في صحيح مسلم وغيره عن معاوية بن الحكم السلمي قال : قلت : يا رسول الله ! أمورا كنا نصنعها في الجاهلية ، كنا نأتى الكهان ، قال : « فلا تأتوا الكهان » وفي صحيح مسلم أيضاً عن عبيد الله . عن نافع ، عن صفية ، عن بعض أزواج النبي ﷺ ، عن النبي ﷺ قال : « من أتى عرافا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين يوماً » .

وأما إن كان يسأل المستؤل ليمتحن حاله ويختبر باطن أمره وعنده ما يميز به صدقه من كذبه فهذا جائز ، كما ثبت في الصحيحين^(١٠٢) : « أن النبي ﷺ سأل

(١٠٢) قوله " أرى عرشاً على الماء " إنما هي في مسلم فقط من حديث أبي سعيد الخدري ، وقوله " إنما أنت من أخوان الكهان " فليست في هذا الحديث عند أحد منها ، والحديث جزء من حديث أخرجه الشيخان من حديث عبد الله بن عمر . وابن صياد هذا قد اختلف في أمره هل هو الدجال أم لا ، وقد ادعى النبوة أمام رسول الله ﷺ . وقد أراد النبي ﷺ أن يبين حاله أمام المسلمين بهذا الاختبار وأن هذا الذي يأتيه إنما هو من الشياطين لا من وحى الله قال النووي : " قال الخطابي : وأما امتحان النبي ﷺ بما خبأه له من آية الدخان فلأنه كان يبلغه ما يدعيه من الكهانة ، ويتعاطاه من الكلام في الغيب فامتحنه ليعلم حقيقة حاله . ويظهر إبطال حاله للصحابة ، وأنه كاهن ساحر يأتيه الشيطان ، فيلقى على لسانه ما يلقيه الشياطين إلى الكهنة ، فامتحنه بإضمار قول الله تعالى ﴿ فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين ﴾ وقال " خيأت لك خبيثاً " فقال هو الدخ أى الدخان - وهو لغة فيه - فقال له النبي ﷺ : احسأ فلن تعدو قدرك ، أى لا تتجاوز قدرك وقد أمثالك من الكهان ، الذين يحفظون من إلقاء الشيطان كلمة واحدة من جملة كثيرة ، بخلاف الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، فإنه يوحى الله تعالى إليهم من علم الغيب ما يوحى فيكون واضحاً كاملاً " (٥ / ٧٧١ شرح النووي) قال النووي : " فإن قيل كيف لم يقتله النبي ﷺ مع أنه ادعى بحضرته النبوة ؟ فالجواب من وجهين ذكرهما البيهقي وغيره ، أحدهما أنه كان غير بالغ واختار القاضي عياض هذا الجواب ، والثاني أنه كان في أيام مهادة اليهود وحلفائهم وجزم الخطابي في معالم السنن بهذا الجواب الثاني " (٥ / ٧٧١) . قلت : في رواية ابن عمر " وقد قارب ابن صياد يومئذ الحلم " يعنى لم يكن بالغاً .

ابن صياد فقال : ما يأتيك ؟ فقال : يأتيني صادق وكاذب ، قال : ماترى ؟ قال : أرى عرشاً على الماء قال : فإنى قد خبأت لك خبيئاً ، قال : الدخ الدخ ، قال : اخسأ فلن تعدو قدرك ، فإنما أنت من أخوان الكهان .

وكذلك إذا كان يسمع ما يقولونه ويخبرون به عن الجن ، كما يسمع المسلمون ما يقول الكفار والفجار ليعرفوا ما عندهم فيعتبروا به ، وكما يسمع خبر الفاسق ويتبين ويتثبت فلا يجزم بصدقه ولا كذبه إلا ببينة كما قال تعالى : ﴿ إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ﴾ ، وقد ثبت في صحيح البخاري عن أبي هريرة (١٠٣) : أن أهل الكتاب كانوا يقرأون التوراة ويفسرونها بالعربية ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم ، فإما أن يحدثوكم بحق فتكذبوه ، وإما أن يحدثوكم بباطل فتصدقوه ، وقولوا : ﴿ آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون ﴾ ، فقد جاز للمسلمين سماع ما يقولونه ولم يصدقوه ولم يكذبوه .

وقد روى عن أبي موسى الأشعري (١٠٤) أنه أبطأ عليه خبر عمر وكان هناك

(١٠٣) قوله : " فإما أن يحدثوكم بحق فتكذبوه وإما أن يحدثوكم بباطل فتصدقوه " ليس في رواية البخاري ، وقد أخرجها أحمد وابن أبي شيبة والبخاري من حديث جابر في قصة قراءة عمر لكتاب من كتب أهل الكتاب قال ابن حجر " رجاله موثقون إلا أن في مجالده ضعفاً " وأخرج نحوه عبد الرزاق من طريق حريث بن ظهير قال قال عبد الله " فذكره يعنى موقوفاً على عبد الله قال ابن حجر : " وسنده حسن " (١٣ / ٢٨٤ فتح الباري) .

(١٠٤) روى عبد الله بن أحمد بن حنبل في فضائل الصحابة بسنده عن سالم بن عبد الله قال : « رأت على أبي موسى الأشعري خبر عمر ، وهو أمير البصرة وكان بها امرأة في جنبها شيطان يتكلم ، فأرسل إليها رسولاً فقال لها : مرى صاحبك فليذهب فليخبرني عن أمير المؤمنين ، قالت : هو باليمن يوشك أن يأتي ، فمكثوا غير طويل ، قالوا : اذهب فأخبرنا عن أمير المؤمنين فإنه قد رأت علينا ، فقال : إن ذلك الرجل ما نستطيع أن ندنو منه بين عينيه روح القدس ، وما خلق الله شيطاناً يسمع صوته إلا آخر لوجهه " (نقلاً عن آكام المرجان ١٦٨) وفي رواية أخرى - وذكرها أيضاً ابن الجوزي في تاريخ عمر بن الخطاب - عن سالم بن عبد الله قال : أبطأ خبر عمر على أبي موسى الأشعري ، فأتى امرأة في بطنها شيطان ، فجاء فسأها عنه فقالت : حتى يجيء إلى شيطاني ، فجاء فسأله عنه قال : تركته مؤتزرًا بكساء يهنا إبل الصدقة وذلك لا يراه شيطان إلا أخر لمنخريه ، الملك بين عينيه وروح القدس ينطق على لسانه " . قلت : هذه رواية مرسلة فإن سالم بن عبد الله بن عمر لم يدرك هذه القصة . وقول المصنف بجواز سماع ما يقولونه ويخبرون به عن

امراة لها قرين من الجن ، فسأله عنه فأخبره أنه ترك عمر يسم إبل الصدقة . وفي خبر آخر أن عمر أرسل جيشاً فقدم شخص إلى المدينة فأخبر أنهم انتصروا على عدوهم ، وشاع الخبر ، فسأل عمر عن ذلك فذكر له ، فقال : هذا أبو الهيثم بريد المسلمين من الجن ! وسيأتى بريد الإنس بعد ذلك ! فجاء بعد ذلك بعدة ايام .

فصل

ويجوز أن يكتب للمصاب وغيره من المرضى شيئاً من كتاب الله وذكره بالمداد المباح ويغسل ويسقى ، كما نص على ذلك أحمد وغيره ، قال عبد الله بن أحمد ! قرأت على أبي ثنا يعلى بن عبيد ؛ ثنا سفيان ؛ عن محمد بن أبي ليلى (١٠٥) ، عن

= الجن ، إن كان يريد به جواز قصد الاستماع للجن أو من يخبرهم الجن فليس ما استدل به على ذلك واضحاً ، فالنهي عن إتيان الكهان والعرافين والنهي عن سؤالهم عام وصريح وقد ذكر المصنف شيئاً من الأحاديث في ذلك . قال النووي : " قال القاضي رحمه الله : كانت الكهانة في العرب ثلاثة أضرب :

أحدها : يكون للإنسان ولى من الجن يخبره بما يسترقه من السمع من السماء ، وهذا القسم بطل من حيث بعث الله نبينا ﷺ .
الثاني : أن يخبره بما يطراً أو يكون في أقطار الأرض ، وما خفى عنه مما قرب أو بعد ، وهذا لا يبعد وجوده ، ونفت المعتزلة وبعض المتكلمين هذين الضربين وأحاليهما ولا استحالة في ذلك ، ولا بعد في وجوده ، لكنهم يصدقون ويكذبون ، والنهي عن تصديقهم والسماع منهم عام .

الثالث : المنجمون وهذا الضرب يخلق الله تعالى فيه لبعض الناس قوة ما ، لكن الكذب فيه أغلب ومن هذا الفن العرافة ، وصاحبها عراف وهو الذي يستدل على الأمور بأسباب ومقدمات يدعى معرفتها بها ، وقد يعتضد بعض هذا الفن ببعض في ذلك بالزجر والطرق والنجوم وأسباب معتادة وهذه الأضرب كلها تسمى كهانة ، وقد أكذبهم كلهم الشرع ونهى عن تصديقهم وإتيانهم والله أعلم " (٨٢ / ٥ شرح النووي) .

(١٠٥) مدار الروايات المذكورة على محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، قال الحافظ : " صدوق سىء الحفظ جداً " . وقد يستدل لذلك بما ثبت من النفت في الرقية والمعوذات قال عياض : فائدة النفت التبرك بتلك الرطوبة أو الهواء الذى ماسه الذكر كما يتبرك بغسالة ما يكتب من الذكر " (١٠ / ١٦١ فتح البارى) .

فائدة :

كثيراً ما يمر بعض الناس - وخاصة في القرى والريف - ويزعمون أن لهم عهداً يستطيعون به إخراج الحيات والعقارب من البيوت ، وكان الناس يسألون عن حقيقة =

الحكم ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس قال : إذا عسر على المرأة ولادتها فليكتب : بسم الله لا إله إلا الله الحليم الكريم ، سبحان الله رب العرش العظيم ، الحمد لله رب العالمين ، (كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها) (كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار ، بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون) . قال أبى : ثنا أسود بن عامر بإسناده بمعناه ، وقال : يكتب في إناء نظيف فيسقى ، قال أبى : وزاد فيه وكيع فتسقى وينضح مادون سرتها ، قال عبد الله : رأيت أبى يكتب للمرأة في جام أو شيء نظيف .

وقال أبو عمرو محمد بن أحمد بن حمدان الحيرى : أنا الحسن بن سفيان النسوي ، حدثنى عبد الله بن أحمد بن شبيب ، ثنا علي بن الحسن بن شقيق ، ثنا عبد الله بن المبارك ، عن سفيان عن ابن أبى ليلى ، عن الحكم ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس قال : إذا عسر على المرأة ولادها فليكتب : بسم الله لا إله إلا الله العلي العظيم لا إله إلا الله الحليم الكريم ! سبحان الله وتعالى رب العرش العظيم ! والحمد لله رب العالمين ، (كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها) (كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار ، بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون) . قال علي : يكتب في كاغدة فيعلق على عضد المرأة ، قال علي : وقد جربناه فلم نر شيئاً أعجب منه ، فإذا وضعت تحله سريعاً ثم تجعله في خرقة أو تحرقه ، آخر كلام شيخ الاسلام ابن تيمية - قدس الله روحه ونور ضريحه .

انتهت رسالة إيضاح الدلالة في عموم الرسالة ويليها شرح حديث « بدأ الإسلام غريباً » .

ذلك وهل هذا من قبيل السحر أم أنه حق كما يزعمون ، وقد وجدت في فتح البارى ما يُعد جواباً على هذا التساؤل وهو : " ويقال : إن الحية لعداوتها للإنسان بالطبع تصادف الشياطين لكونهم اعداء بنى آدم فإذا عزم على الحية بأسماء الشياطين أجابت وخرجت من مكانها " (١٠ / ١٦٠ فتح البارى) وقد مر بنا أن من الحيات شياطين ، فإذا عزم المعزم بالعزائم الشركية على هذه الشياطين استجابت له واتبعته ، كما أنه لا يبعد أن يكون ما يفعله هؤلاء الناس من قبيل السحر ، لا سيما وأن ظاهر هؤلاء الناس عدم القيام بالفرائض الظاهرة التى لا يسع أحداً من الناس التقصير فيها .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله محمد ﷺ
أما بعد

فقد قال رسول الله محمد ﷺ "بدأ الاسم غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء" وما يقوله الرسول حق وما ينطق به لا يتخلف ؛ لأنه لا يصدر في ذلك عن حدس أو تخمين إنما ينطق بالحق الذي أوحاه الله إليه .

وها هي الغربة تضرب بأطنابها في أرجاء الأرض كلها ، حتى بات الاسلام غريباً بين أهله ومجهولاً عند اتباعه . هذا هو الواقع ، فما هو الواجب .

هذا ما ينبغي أن توجه إليه الهمم ، وهو بيان ما يجب على المسلمين عند غربة الإسلام ، فإن كثيراً من الناس توجهت همهم إلى بيان من هو الغريب ، ولم تبذل جهدها في بيان ما يجب عند الغربة ، وما فعله شيخ الإسلام في هذه الرسالة هو بيان الواجب في مثل هذا الواقع ، وهنا تمكن أهمية الرسالة وعظم قدرها رغم صغر حجمها . بين شيخ الإسلام في هذه الرسالة أن غربة الإسلام لا تقوم عذراً في ترك الإسلام والتخلي عنه ، وأن المتمسك به زمن الغربة يكون أسعد الناس ، وأن ما يحصل للمتمسك به من أذى فإنه يعوض عنه عاجلاً من الإيمان وحلاوته ولذته ما يحتمل به ذلك الأذى .

ويبين شيخ الإسلام أن كثيراً من الناس إذا رأى المنكر أو تغير كثير من أحوال الاسلام جزع وناح كما ينوح أهل المصائب - وهذا سبيل العاجز - بل هو مأمور بالصبر والتوكل والثبات على دين الاسلام .

ويبين شيخ الاسلام أن بقاء الاسلام غريباً ذليلاً في الأرض كلها قبل قيام الساعة لا يكون أبداً ؛ لأن الرسول ﷺ أخبر بأنه لا تزال طائفة من أمته ظاهرين على الحق حتى يأتي أمر الله .

وفي هذا رد على أولئك المثبطين الذين يقولون لا جدوى ولا فائدة من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ويحتجون لقولهم هذا بأن الرسول ﷺ أخبر - وخبره حق مصدق - بأن الاسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً ، وأخبر في أحاديث أخر أن أمته سوف تشبه بغيرها من الأمم السابقة اليهود والنصارى قالوا : وما قاله الرسول وأخبر به فلا بد أن يقع ، فلا فائدة إذن ولا جدوى من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ،

وهذا منهم معارضة للشرع بالقدر ولا يجوز لاحد أن يحتج في مخالفة الشرع بالقدر ،
فالقدر يؤمن به ولا يحتج به ، وقد رد شيخ الإسلام على هذه الدعوى نفسها في كتابه
القيم : " اقتضاء الصراط المستقيم " قال : " ولا يقال : فإذا كان الكتاب والسنة
قد دلا على وقوع ذلك فما فائدة النهي ؟ لأن الكتاب والسنة أيضا قد دلا على أنه لا
يزال في هذه الأمة طائفة متمسكة بالحق الذي بعث الله به محمداً ﷺ إلى قيام الساعة
وأنها لا تجتمع على ضلالة ، ففى النهي عن ذلك تكثير لهذه الطائفة المنصورة وتثبيتها
وزيادة إيمانها فنسأل الله المجيب أن يجعلنا منها .

وأیضا لو فرض أن الناس لا يترك أحد منهم هذه المشابهة المنكرة لكان في العلم
بها معرفة القبيح والإيمان بذلك ، فإن نفس العلم والإيمان بما كرهه الله خير ، وإن لم
يعمل به بل فائدة العلم والإيمان أعظم من فائدة مجرد العمل الذي لم يقترن به علم ،
فإن الانسان إذا عرف المعروف ، وأنكر المنكر كان خيراً من أن يكون ميت القلب لا
يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً . . . ثم لو فرض أنا علمنا أن الناس لا يتركون
المنكر ، ولا يعترفون بأنه منكز لم يكن ذلك مانعاً من إبلاغ الرسالة وبيان العلم ، بل
ذلك لا يسقط وجوب الإبلاغ ولا وجوب الأمر والنهي في إحدى الروايتين عن أحمد
وقول كثير من أهل العلم ، (الاقتضاء ٤٢ - ٤٣) ثم بين شيخ الإسلام - في
رسالتنا هذه - أن الله وعد المؤمنين الذين يعملون الصالحات ليستخلفنهم في
الأرض ، وأن درجة الاستخلاف على قدر الصلاح والإيمان فمن كان أكمل إيماناً
ويعمل صالحاً كان استخلافه أتم وأكمل ومن كان فيه نقص خلل كان في تمكينه خلل
ونقص وهذا وعد من الله للمؤمنين في كل زمان ومكان " وعد الله الذين آمنوا منكم
وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض " فما بقى للشب ط حجة .

ثم بين شيخ الإسلام في آخر رسالته إن الردة إنما تكثر فيمن عنده قرآن بلا علم
وإيمان ، أو من عنده إيمان بلا علم وقرآن فأما من أوق القرآن والإيمان فحصل فيه
العلم فهذا لا يرفع من صدره

ونظن أنا بذلك قد قدمنا تعريفاً بهذه الرسالة

ونسأل الله من فضله التوفيق والرشاد

وقال شيخ الاسلام رحمه الله

فصل

في قول النبي ﷺ في الحديث الصحيح .

«بدأ الاسلام غريباً ، وسيعود غريباً كما بدأ ، فطوبى للغرباء !» (١٠٦) .

لا يقتضى هذا انه إذا صار غريباً يجوز تركه - والعياذ بالله ! بل الأمر كما قال تعالى : ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾ . وقال تعالى : ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ ومن يرغب ^{عن} ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ، ولقد اصطفيناه في الدنيا ، وإنه في الآخرة لمن الصالحين . إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين . ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب ، يابنى إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ .

وقد بسطنا الكلام على هذا في موضع آخر . وبيننا أن الأنبياء كلهم كان دينهم الإسلام من نوح إلى المسيح .

ولهذا لما بدأ الإسلام غريباً لم يكن غيره من الدين مقبولا ، بل قد ثبت في الحديث الصحيح (١٠٧) - حديث عياض بن حمار - عن النبي ﷺ انه قال : «إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم - عربهم وعجمهم - إلا بقايا من أهل الكتاب» الحديث .

ولا يقتضى هذا انه إذا صار غريباً أن المتمسك به يكون في شر ، بل هو أسعد

(١٠٦) رواه من الصحابة عدة أنفس منهم أبو هريرة وحديثه عند مسلم وابن ماجه ، وعبد الله بن مسعود عند الترمذى وابن ماجه ، وابن عمر عند مسلم ، وأنس عند ابن ماجه ، وعمر بن عوف عند الترمذى .

(١٠٧) جزء من حديث طويل أخرجه مسلم ، قال النوى "المقت : أشد بغض ، والمراد بهذا المقت والنظر ما قبل بعثة رسول الله ﷺ ، والمراد ببقايا أهل الكتاب الباقون على التمسك بدينهم الحق من غير تبديل" (٥ / ٧١٦ شرح النوى)

الناس كما قال في تمام الحديث «قطوبى للغرباء» . و «طوبى» من الطيب^(١٠٨) ، قال تعالى ﴿ طوبى لهم وحسن مآب ﴾ فإنه يكون من جنس السابقين الأولين الذين اتبعوه لما كان غريباً .

وهم أسعد الناس : أما في الآخرة فهم أعلى الناس درجة بعد الأنبياء عليهم السلام .

وأما في الدنيا فقد قال تعالى ﴿ يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين ﴾ أى أن الله حسبك وحسب متبعك . وقال تعالى ﴿ إن وليّ الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين ﴾ وقال تعالى ﴿ ليس الله بكاف عبده ﴾ وقال ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجاً . ويرزقه من حيث لا يحتسب ، ومن يتوكل على الله فهو حسبه ﴾ . فالمسلم المتبع للرسول : الله تعالى حسبه وكافيه ، وهو وليه حيث كان ومتى كان .

ولهذا يوجد المسلمون المتمسكون بالاسلام في بلاد الكفر لهم السعادة كلما كانوا أتم تمسكا بالاسلام ، فإن دخل عليهم شر كان بذنوبهم . حتى إن المشركين وأهل الكتاب إذا رأوا المسلم القائم بالاسلام عظموه وأكرموه وأعفوه من الأعمال التى يستعلمون بها المنتسبين إلى ظاهر الاسلام من غير عمل بحقيقتها^(١٠٩) . وكذلك كان المسلمون في أول الاسلام وفي كل وقت .

(١٠٨) هذا قول الفراء ، وفيها أقوال غير ذلك قال ابن عباس : فرح وقرة عين ، وقال عكرمة : نعم ما لهم ، وقال الضحاك غبطة لهم وقال ابراهيم النخعي خير لهم قال ابن كثير معقباً : " وهذه الأقوال شئ واحد لا منافاة بينها " (٢ / ٥١٢) وروى مرفوعاً أنها شجرة في الجنة مسيرتها مائة عام أخرجه أحمد من حديث أبي سعيد وإسناده ضعيف وابن جرير من حديث أبي هريرة وإسناده أيضاً ضعيف قال ابن كثير " وروى عن أبي هريرة وابن عباس ومغيث بن سمي وأبي اسحق السبيعي وغير واحد من السلف أن طوبى شجرة في الجنة في كل دار منها غصن منها " (٢ / ٥١٢ تفسير ابن كثير) وقد أخرج الألباني حديث أبي سعيد في السلسلة الصحيحة وقال " وهذا إسناد لا بأس به في الشواهد " قال ويشهد له ما رواه فوات بن أبي الفرات عن معاوية بن قرة عن أبيه قال قال رسول الله ﷺ ، وذكر حديثاً في ذلك ، قلت : والعجب منه أنه جعل حديث قرة شاهداً ، مع أنه قد قال هو عنه : موضوع (ضعيف الجامع ٤ / ١٣) . ثم استشهد له بحديثين آخرين ، ولا شاهد فيها .

(١٠٩) كان هنا لفظ " لم يكرم " ولا معنى له هنا ، لذا حذفناه .

فانه لابد أن يحصل للناس في الدنيا شر ، والله على عبادته نعم ، لكن الشر الذى يصيب المسلم أقل ، والنعم التى تصل إليه أكثر . فكان المسلمون في أول الإسلام وإن ابتلوا بأذى الكفار والخروج من الديار ، فالذى حصل للكفار من الهلاك كان أعظم بكثير ، والذى كان يحصل للكفار من عز أو مال كان يحصل للمسلمين أكثر منه^(١١٠)

فرسول الله ﷺ - مع ما كان المشركون يسعون في أذاه بكل طريق - كان الله يدفع عنه ويعزه ويمنعه وينصره ، من حيث كان أعز قریش . مامنهم إلا من كان يحصل له من يؤذيه ، ويهيئه من لا يمكنه دفعه ، إذ لكل كبير كبير يناظره ويناوله ويعاديه . وهذه حال من لم يتبع الإسلام - يخاف بعضهم بعضاً ، ويرجو بعضهم بعضاً .

وأتباعه ، الذين هاجروا إلى الحبشة أكرمهم ملك الحبشة وأعزهم غاية الإكرام والعز ، والذين هاجروا إلى المدينة فكانوا أكرم وأعز .

والذى كان يحصل لهم من أذى الدنيا كانوا يعوضون عنه عاجلاً من الإيمان وحلاوته ولذته ما يحتملون به ذلك الأذى . وكان أعداؤهم يحصل لهم من الأذى والشر أضعاف ذلك من غير عوض لا أجلاً ولا عاجلاً ، إذ كانوا معاقبين بذنوبهم .

وكان المؤمنون ممتحنين ليخلص إيمانهم وتكفر سيئاتهم . وذلك أن المؤمن يعمل لله ، فإن أودى احتسب أذاه على الله ، وإن بذل سعيًا أو مالا بذله لله فاحتسب أجره على الله .

والإيمان له حلاوة في القلب ولذة لا يعدلها شيء البتة . وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان : من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، ومن كان يجب المرء لا يحبه إلا الله ، ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار» . أخرجاه في الصحيحين^(١١١) . وفي صحيح مسلم^(١١٢) : «ذاق طعم الإيمان من رضى بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد نبياً» .

وكما أن الله نهى نبيه أن يصيبه حزن أو ضيق ممن لم يدخل في الإسلام في

(١١٠) كان هنا لفظ "حتى من الأجانب" ولا معنى له هنا ، لذا حذفناه .

(١١١) من حديث أنس

(١١٢) من حديث العباس بن عبد المطلب

أول الأمر فكذلك في آخره . فالؤمن منهى أن يحزن عليهم أو يكون في ضيق من مكرهم .

وكثير من الناس إذا رأى المنكر أو تغير كثير من أحوال الاسلام جزع وكل^(١١٣) وناح كما ينوح أهل المصائب ، وهو منهى عن هذا : بل هو مأمور بالصبر والتوكل والثبات على دين الاسلام ، وأن يؤمن بالله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وأن العاقبة للتقوى . وأن مايصيبه فهو بذنوبه . فليصبر ، إن وعد الله حق ، وليستغفر لذنبه ، وليسبح بحمد ربه بالعشى والإبكار . وقوله ﷺ : « وسيعود غريباً كما بدأ » يحتمل شيئين :

أحدهما أنه في أمكنة وأزمنة يعود غريباً بينهم ثم يظهر ، كما كان في أول الأمر غريباً ثم ظهر . ولهذا قال « سيعود غريباً كما بدأ » .

وهو لما بدأ كان غريباً لا يعرف ثم ظهر وعرف ، فكذلك يعود حتى لا يعرف ثم يظهر ويعرف . فيقل من يعرفه في أثناء الأمر كما كان من يعرفه أولاً .

ويحتمل أنه في آخر الدنيا لا يبقى مسلماً إلا قليل . وهذا إنما يكون بعد الدجال ويأجوج ومأجوج عند قرب الساعة ، حينئذ يبعث الله رجباً تقبض روح كل مؤمن ومؤمنة ثم تقوم القيامة .

وأما قبل ذلك فقد قال ﷺ : « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق ، لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم ، حتى تقوم الساعة » . وهذا الحديث في الصحيحين^(١١٤) ، ومثله من عدة أوجه .

فقد أخبر الصادق أنه لا تزال طائفة ممتنعة من أمته على الحق أعزاء

(١١٣) كَلَّ : تعب

(١١٤) أخرجه الشيخان من حديث معاوية ، ومن حديث المغيرة ، وأخرجه مسلم من حديث ثوبان ، ومن حديث جابر بن سمرة ولفظه : « لن يبرح هذا الدين قائماً يُقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة » ومن حديث جابر بن عبد الله ولفظه « لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة » ومن حديث معاوية ولفظه . « ولا تزال عصابة من المسلمين يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوَاهُم إلى يوم القيامة » . ومن حديث عقبة بن عامر ولفظه : « لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أمر الله قاهرين لعدوهم لا يضرهم من خالفهم حتى تأتيهم الساعة وهم على ذلك » وقد صح أيضاً من حديث عمر ، وعمران بن حصين ، وأبي هريرة ، وقرّة بن إياس ، وسلمة بن نفيل

لا يضرهم المخالف ولا خلاف الخاذل^(١١٥) . فأما بقاء الاسلام غريباً ذليلاً في الأرض كلها قبل الساعة فلا يكون هذا .

وقوله ﷺ «وسيعود غريباً كما بدأ» ، أعظم ما تكون غربته إذا ارتد الداخلون فيه عنه ، وقد قال تعالى ﴿من یرتد منکم عن دینہ فسوف یأتی اللہ بقوم یحبهم ویحبونه اذلة علی المؤمنین أعزة علی الکافرین ، یجاهدون فی سبیل اللہ ولا یخافون لومة لائم﴾ . فهؤلاء یقیمونه إذا ارتد عنه أولئك .

وكذلك بدأ غريباً ولم یزل یقوى حتی انتشر . فهكذا یتغرب فی كثير من الامكنة والازمنة ثم یظهر حتی یقیمه الله عز وجل ، كما كان عمر بن عبد العزيز لما ولی قد تغرب كثير من الإسلام علی كثير من الناس حتی كان منهم من لا یعرف تحريم الخمر . فأظهر الله به فی الإسلام ما كان غريباً .

وفي السنن^(١١٦) : «إن الله یبعث لهذه الأمة فی رأس كل مائة سنة من یجدد

(١١٥) بین ابن تیمیة فی موضع آخر أن الحديث قسم الناس إلى ثلاث طوائف :
- طائفة مجتهدة فی نصر الدین وهی الطائفة المنصورة المجاهدة للقوم المفسدين الخارجین عن شریعة الإسلام .

- طائفة مخالفة وهی الخارجة عن شریعة الاسلام .
- طائفة خاذلة وهی القاعدة عن جهاد الخارجة عن شریعة الاسلام وان كانوا صحیحی الإسلام ثم قال : " فلینظر الرجل أیکون من الطائفة المنصورة أم من الخاذلة أم من المخالفة فما بقى قسم رابع " (٢٨ / ٤١٧ فتاوى) .

قال النووی : " وأما هذه الطائفة فقد قال البخاری : هم أهل العلم ، وقال احمد بن حنبل : ان لم یکنوا أهل الحديث فلا أدري من هم ، قال القاضي عیاض : إنما أراد أحمد أهل السنة والجماعة ومن یعتقد مذهب أهل الحديث " (٤ / ٥٨٤ شرح النووی) قلت : مرادهم قطعاً العلماء العاملون لا العلماء الخاذلون ، لأن الحديث قد بین أن هذه الطائفة هی القائمة بالإسلام علماً وعملاً ، علماً باعتقادها الحق وعملاً بالجهاد فی سبيله .

(١١٦) أخرجه أبو داود من حديث أبي هريرة ولفظه " إن الله یبعث لهذه الأمة علی رأس كل مائة سنة من یجدد لها دینها " ، ولم یخرجه من أصحاب السنن الأربعة غیره ، وقد أخرجه الحاكم فی المستدرک وصححه الألبانی فی صحیح الجامع وقال : " والسند صحیح رجاله ثقات رجال مسلم " (٢ / ١٥١ السلسلة الصحیحة) والمراد من رأس المائة فی هذا الحديث هو آخرها ، والمراد بالبعث من انقضت المائة وهو حی عالم مشهور یعمل علی نشر السنن وإحيائها ، والدعوة إليها ، وإماتة البدع ومحدثات الأمور . وقد قرر كثير من تكلم علی هذا الحديث أن المبعوث علی رأس القرن یكون موته علی رأسه وهذا أخذ لا یبعث (انظر ١١ / ٣٨٥ عون المعبود فقد توسع فی ذلك) . قلت : وقد ذکر شیخ =

لها دينها». والتجديد إنما يكون بعد الدروس ، وذاك هو غربة الإسلام . وهذا الحديث^(١١٧) يفيد المسلم أنه لا يهتم بقله من يعرف حقيقة الاسلام ، ولا يضيق صدره بذلك ، ولا يكون في شك من دين الإسلام ، كما كان الأمر حين بدأ . قال تعالى ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍ مِمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَأَسْأَلُ الَّذِينَ يَقرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ ، الى غير ذلك من الآيات والبراهين الدالة على صحة الإسلام .

وكذلك إذا تغرب يحتاج صاحبه من الأدلة والبراهين إلى نظير ما احتاج إليه في أول الأمر . وقد قال له ﴿أفغير الله أبتغى حكماً وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلاً ، والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين . وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً ، لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم . وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله ، إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون﴾ ، وقال تعالى ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ، إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ .

وقد تكون الغربة في بعض شرائعه ، وقد يكون ذلك في بغض الأمكنة . ففي كثير من الأمكنة يخفى عليهم من شرائعه ما يصير [به] غريباً بينهم لا يعرفه منهم إلا الواحد بعد الواحد .

ومع هذا فطوبى لمن تمسك بتلك الشريعة كما أمر الله ورسوله . فإن إظهاره والأمر به والإنكار على من خالفه هو بحسب القوة والأعوان . وقد قال النبي ﷺ^(١١٨) : «من رأى منكم منكراً ، فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل»

= الاسلام هذا الحديث ليدلل على أن الإسلام لا يمكن أن يكون قبل قيام الساعة ذليلاً غريباً في الأرض كلها .

(١١٧) يعنى "بدأ الاسلام غريباً" الحديث

(١١٨) أخرجه الجماعة إلا البخارى من حديث أبى سعيد الخدرى وآخره "وذلك أضعف الإيمان" أما قوله : "ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل" فهذا من رواية ابن مسعود أخرجه مسلم ونص حديثه "ما من نبي بعثه الله في أمة قبل إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدكم بيده فهو مؤمن ومن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل"

وإذا قدر أن في الناس من حصل له سوء في الدنيا والآخرة بخلاف ما وعد الله به رسوله وأتباعه ، فهذا من ذنوبه ونقص إسلامه ، كالهزيمة التي أصابتهم يوم أحد .

وإلا فقد قال تعالى ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرَ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾ ، وقال تعالى ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ وَإِن جُنَدُنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ . وفيما قصه الله تعالى من قصص الأنبياء وأتباعهم ونصرهم ونجاتهم وهلاك أعدائهم عبرة ، والله أعلم .

فإن قيل : قوله تبارك وتعالى ﴿ مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ هو خطاب لذلك القرن ، كقوله تعالى ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ . ولهذا بين النبي ﷺ أنهم أهل اليمن الذين دخلوا في الإسلام لما ارتد من ارتد من العرب ، ويدل على ذلك أنه في آخر الأمر لا يبقى مؤمن .

قيل : قوله تبارك وتعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ خطاب لكل من بلغه القرآن من المؤمنين كسائر أنواع هذا الخطاب ، كقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ) وأمثالها . وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ ﴾ .

وكلاهما وقع ويقع كما أخبر الله عز وجل . فإنه ما ارتد عن الإسلام طائفة إلا أتى الله بقوم يحبهم يجاهدون عنه ، وهم الطائفة المنصورة إلى قيام الساعة .

يبين ذلك أنه ذكر هذا في سياق النهي عن موالة الكفار ، فقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ ، بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ، وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُمْ مِنْهُمْ ، إِنْ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ . فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة ، فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين - إلى قوله - يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ . فالمخاطبون بالنهي عن موالة اليهود والنصارى هم المخاطبون بأية الردة . ومعلوم أن هذا يتناول جميع قرون الأمة .

وهو لما نهى عن موالة الكفار وبين أن من تولاهم من المخاطبين فإنه منهم ، بين أن من تولاهم وارتد عن دين الإسلام لا يضر الإسلام شيئاً ، بل سيأتى الله

يقوم يحبهم ويحبونه ، فيقولون المؤمنون دون الكفار ويجاهدون في سبيل الله لا يخافون لومة لائم ، كما قال في أول الأمر ﴿ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءُ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴾ . فهؤلاء الذين لم يدخلوا في الإسلام ، وأولئك الذين خرجوا منه بعد الدخول فيه — لا يضررون الإسلام شيئاً . بل يقيم الله من يؤمن بما جاء به رسوله وينصر دينه إلى قيام الساعة .

وأهل اليمن هم ممن جاء الله بهم لما ارتد من ارتد إذ ذاك . وليست الآية مختصة بهم ، ولا في الحديث^(١١٩) ما يوجب تخصيصهم . بل قد أخبر الله أنه يأتي بغير أهل اليمن كأبناء فارس^(١٢٠) ، لا يختص الوعد بهم .

بل قد قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْتُمْ قُلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ، أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ ؟ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ . إِلَّا تَنْفَرُوا يَعْذِبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا ، وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ وهذا أيضاً خطاب لكل قرن ، وقد أخبر فيه أنه من نكل عن الجهاد المأمور به عذبه واستبدل به من يقوم بالجهاد ، وهذا هو الواقع .

وكذلك قوله في الآية الأخرى : ﴿ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءُ تَدْعُونَ لِنَفْسِكُمْ أَنْتُمْ تَقُولُونَ لَنْ نَكُونَنَّ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ،

(١١٩) لعل الحديث المشار إليه هو ما رواه ابن جرير وابن أبي حاتم عن أبي موسى الأشعري قال لما نزلت : " فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه " قال رسول الله ﷺ : " هم قوم هذا " قال الشيخ أحمد محمد شاكر : " حديث صحيح ورواه ابن سعد والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وذكره الهيثمي وقال : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح " (عمدة التفسير ٤ / ١٧٨) .

(١٢٠) لعله يشير بذلك إلى الحديث الذي رواه ابن جرير وابن أبي حاتم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال إن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية ﴿ وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴾ قالوا يا رسول الله من هؤلاء الذين إن تولينا استبدل بنا ثم لا يكونوا أمثالنا ، قال فضرب يده على كتف سلمان الفارسي رضي الله عنه ثم قال : " هذا وقومه ولو كان الدين عند الثريا لتناولوه رجال من الفرس " قال ابن كثير : " تفرد به مسلم بن خالد الزنجي وقد تكلم فيه بعض الأئمة " (٤ / ١٨٢ تفسير ابن كثير) وقد لخص ابن حجر كلام الناس فيه فقال " فقيه صدوق كثير الأوهام " . وعلى ذلك فما تفرد به لا يعول عليه . وفي الصحيحين عن أبي هريرة لما نزلت " وآخرين منهم لما يلحقوا بهم " قلت : من هم يا رسول الله فلم يرأجه حتى سأل ثلاثاً وفيما سلمان . وضع رسول الله ﷺ يده على سلمان ، ثم قال : لو كان الإيمان عند الثريا لنالته رجال من هؤلاء " .

فمنكم من يبخل ، ومن يبخلُ فإنما يبخلُ عن نفسه ، والله الغنى وأنتم الفقراء ، وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ﴿ . فقد أخبر تعالى أنه من يتول عن الجهاد بنفسه أو عن الاتفاق في سبيل الله استبدل به .

فهذه حال الجبان البخيل ، يستبدل الله به من ينصر الاسلام وينفق فيه . فكيف تكون حال (أصل الاسلام من ارتد عنه)^(١٢١) ؟ أتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ، يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم .

وهذا موجود في أهل العلم ، والعبادة ، والقتال ، والمال ، (وفي)^(١٢٢) الطوائف الأربعة مؤمنون مجاهدون منصورون إلى قيام الساعة ، كما منهم من يرتد أو من ينكل عن الجهاد والإنفاق .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض ﴾ . فهذا الوعد مناسب لكل من اتصف بهذا الوصف . فلما اتصف به الأولون استخلفهم الله كما وعد . وقد اتصف بعدهم به قوم بحسب إيمانهم وعملهم الصالح . فمن كان أكمل إيمانا وعمل صالحا كان استخلافه المذكور أتم . فإن كان فيه نقص وخلل كان في تمكيته خلل ونقص . وذلك أن هذا جزاء هذا العمل ، فمن قام بذلك العمل استحق ذلك الجزاء .

لكن ما بقى قرن مثل القرن الأول ، فلا جرم ما بقى قرن يتمكن تمكن القرن الأول . قال صلى الله عليه وسلم^(١٢٣) : « خير القرون القرن الذين بعثت فيهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » .

ولكن قد يكون هذا لبعض أهل القرن ، كما يحصل هذا لبعض المسلمين في بعض الجهات ، كما هو معروف في كل زمان .

وأما قوله صلى الله عليه وسلم^(١٢٤) « إن الله يبعث ريحا تقبض روح كل

(١٢١) غير مفهومة ولعها كانت " وكذلك يكون حال من ارتد عن أصل الإسلام " والله أعلم .

(١٢٢) كانت في الأصل : « مع »

(١٢٣) أخرجه الجماعة إلا ابن ماجه من حديث عمران بن حصين ، وإلا النسائي من حديث ابن مسعود وقد سبق تخريجه بأكثر من ذلك .

(١٢٤) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة ولفظه : إن الله يبعث ريحا من اليمن ألين من الحرير فلا تدع أحدا في قلبه مثقال ذرة من إيمان الا قبضته " . وهذا إنما يكون قرب الساعة بعد

مؤمن « فذاك ليس فيه ردة ، بل فيه موت المؤمنين . وهو لم يقل « إذا مات كل مؤمن » أن يستبدل الله موضعه آخر ، وإنما وعد بهذا إذا ارتد بعضهم عن دينه . وهو^(١٢٥) مما يستدل به على أن الأمة لا تجتمع على ضلالة ولا تترد جميعها ، بل لا بد أن يبقى الله من المؤمنين من هو ظاهر إلى قيام الساعة . فإذا مات كل مؤمن فقد جاءت الساعة .

وهذا كما في حديث العلم « إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء . فإذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالا ، فسئلوا فأفتوا بغير علم ، فضلوا وأضلوا » . والحديث مشهور في الصحاح^(١٢٦) من حديث عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم .

فإن قيل : ففي حديث ابن مسعود^(١٢٧) وغيره أنه قال « يسرى على القرآن فلا يبقى في المصاحف منه آية ولا في الصدور منه آية » وهذا يناقض هذا .

قيل : ليس كذلك . فإن قبض العلم ليس قبض القرآن بدليل الحديث الآخر^(١٢٨) « هذا أوان يقبض العلم » فقال بعض الأنصار : وكيف يقبض وقد

خروج الدجال وأجوج ومأجوج ، وقد أخرج مسلم أيضا من حديث عائشة نحو حديث أبي هريرة ، وأخرج نحوه أيضا من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعاً وموقوفاً ، وأخرج نحوه أيضا من حديث النواس بن سمعان في قصة الدجال .

(١٢٥) يعني حديث « لا تزال طائفة » الحديث

(١٢٦) أخرجه الجماعة من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص إلا النسائي وأبا داود .

(١٢٧) حديث ابن مسعود قال عنه الحافظ « أخرجه الطبراني ، وسنده صحيح ، لكنه

موقوف ١٢ / ١٢ فتح الباري) ولفظه - كما ذكره ابن حجر - « ولينزع القرآن من

بين أظهركم يسرى عليه ليلاً فيذهب من أجواف الرجال فلا يبقى في الأرض منه

شيء » . وأما المراد بقوله « وغيره » فلعله يريد بذلك ما أخرجه ابن ماجه عن

حذيفة وفيه : « ويسرى على كتاب الله في ليلة ، فلا يبقى في الأرض من آية »

الحديث ، قال ابن حجر « وسنده قوي » وقال البوصيري في الزوائد : « إسناده

صحيح رجاله ثقات » وأخرجه الحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم ، ووافقه

الذهبي قال الألباني « وهو كما قال » (١ / ١٢٧ السلسلة الصحيحة) . قوله :

« وهذا يناقض هذا » يعني هذا الأثر فيه نزع العلم من الصدور وقبضه ، فيناقض

حديث عبد الله بن عمرو ، ثم شرع المصنف يرد على هذا .

(١٢٨) أخرجه ابن ماجه من حديث زياد بن ليبيد وقال في الزوائد « هذا إسناده

قرأنا القرآن وأقرأناه نساءنا وأبنائنا ، فقال : « ثكلتك أمك ! إن كنت لأحسبك لمن أفقه أهل المدينة أو ليست التوراة والإنجيل عند اليهود والنصارى ؟ فماذا يغنى عنهم ؟ » .

فتبين أن مجرد بقاء حفظ الكتاب لا يوجب هذا العلم ، لاسيما فإن القرآن يقرأه المنافق والمؤمن ، ويقرأه الأمي الذي لا يعلم الكتاب إلا أمانى . وقد قال الحسن البصري^(١٢٩) : « العلم علمان : علم في القلب ، وعلم على اللسان . فعلم القلب هو العلم النافع ، وعلم اللسان حجة الله على عباده » . فإذا قبض الله العلماء بقى من يقرأ القرآن بلا علم ، فيسرى عليه من المصاحف والصدور .

فإن قيل : ففي حديث حذيفة الذي في الصحيحين أنه حدثهم عن قبض الأمانة وأن « الرجل ينام النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل الوكت . ثم ينام النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل أثر المجل كجمر دحرجته على رجلك فتراه منتبراً وليس فيه شيء »^(١٣٠) .

قيل : وقبض الأمانة والإيمان ليس هو قبض العلم . فإن الإنسان قد يؤتى إيماناً مع نقص علمه . فمثل هذا الإيمان قد يرفع من صدره ، كإيمان بني إسرائيل لما رأوا العجل . وأما من أوتى العلم مع الإيمان فهذا لا يرفع من صدره . ومثل هذا لا يرتد عن الإسلام قط ، بخلاف مجرد القرآن أو مجرد الإيمان ، فإن

صحيح رجاله ثقات إلا أنه منقطع ، (نقلاً عن حاشية السندي ٢ / ٤٩٨ سنن ابن ماجه) وأخرجه الترمذي من حيث أبي الدرداء قال « حديث حسن غريب » (٧ / ٤١٣ تحفة الأحوذى) ولفظه عند الترمذي : « عن أبي الدرداء قال : كنا مع النبي ﷺ فشخص ببصره إلى السماء ثم قال : هذا أوان يختلس العلم من الناس حتى لا يقدروا منه على شيء فقال : زياد بن لبيد الأنصاري كيف يختلس منا ، وقد قرأنا القرآن فوالله لنقرأه ، ولنقرأه نساءنا وأبنائنا قال : ثكلتك أمك يا زياد ، إن كنت لأعدك من فقهاء أهل المدينة ، هذه التوراة والإنجيل عند اليهود والنصارى فإذا تغنى عنهم » وفي رواية ابن ماجه « هذه اليهود والنصارى يقرءون التوراة والإنجيل لا يعملون بشيء مما فيها » وقد أخرجه الحاكم من حديثها ، قال الألباني : « صحيح » (صحيح الجامع ٦ / ٧٢) .

(١٢٩) وقد روى مرفوعاً ولا يصح .

(١٣٠) الوكت : الأثر اليسير ، المجل : التنفط الذي يصير في اليد من العمل بفأس أو

هذا قد يرتفع . فهذا هو الواقع .

لكن أكثر ما نجد الردة فيمن عنده قرآن بلا علم وإيمان ، أو من عنده إيمان بلا علم وقرآن . فأما من أوتي القرآن والايمان فحصل فيه العلم فهذا لا يرفع من صدره . والله اعلم .

نحوها ، ويصير كالتبقة فيه ماء قليل . ، المنتبر : المرتفع (٢ / ١٦٩ شرح النووي) . كان الفراغ منه قبيل أذان فجر يوم الأربعاء ٢٢ من ذي الحجة ١٤٠٦ هـ ب / ٢٧ / ٨ / ١٩٨٦ م والحمد لله أولاً وآخراً ، والصلاة والسلام على سيد ولد آدم ، وعلى آله وصحبه ، ومن دعا بدعوته ، وتحام إلى شريعته واستن بسنته إلى يوم الدين .

المراجع

- ١ - تفسير القرآن العظيم لابن كثير
- ٢ - صحيح البخارى وشرحه فتح البارى لابن حجر
- ٣ - صحيح مسلم وشرحه المنهاج للنووى
- ٤ - سنن أبى داود وشرحه عون المعبود لمحمد شمس الحق
- ٥ - سنن الترمذى وشرحه تحفة الأحوذى للمبار كפורى
- ٦ - سنن النسائى بحاشية السندى
- ٧ - سنن ابن ماجه بحاشية السندى
- ٨ - موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان للهيثمى
- ٩ - الأدب المفرد للبخارى
- ١٠ - تلخيص الحبير لابن حجر
- ١١ - نصب الراية للزيلعى
- ١٢ - إرواء الغليل للالبانى
- ١٣ - السلسلة الصحيحة - للالبانى
- ١٤ - السلسلة الضعيفة (المجلد الاول) للالبانى
- ١٥ - صحيح الجامع الصغير للالبانى
- ١٦ - ضعيف الجامع الصغير للالبانى
- ١٧ - نيل الأوطار للشوكانى
- ١٨ - إغاثة اللهفان لابن القيم
- ١٩ - إقتضاء الصراط المستقيم لابن تيميه
- ٢٠ - مجموع الفتاوى لابن تيميه
- ٢١ - أكام المرجان فى أحكام الجان للشبلى
- ٢٢ - تهذيب التهذيب لابن حجر
- ٢٣ - تقريب التهذيب لابن حجر
- ٢٤ - أسد الغابة فى معرفة الصحابة لابن الاثير
- ٢٥ - الخصائص الكبرى للسيوطى
- ٢٦ - زاد المعاد لابن القيم
- ٢٧ - الأذكار للنووى
- ٢٨ - الفرقان بين اولياء الرحمن واولياء الشيطان لابن تيمية
- ٢٩ - لسان العرب لابن منظور

الفهرست

« ايضاح الدلالة في عموم الرسالة والتعريف بأحوال الجن »

- ١ - ٣ ب ترجمة المؤلف والتعريف بالرسالة
- ٤ - وجوب الإيمان بعموم رسالة سيدنا محمد ﷺ إلى الإنس والجن
- ٥ - وجود الجن تواترت به أخبار الأنبياء تواترا معلوما بالاضطرار
- ٦ - الحكمه في سؤال أهل الكتاب عن أمور من الغيب لبيان أن هذه الأشياء لا يعلمها إلا نبي أو من أخبره نبي
- ٦ - دخول الجنى في بدن المصروع من أقوال أهل السنة والجماعة
- ٧ - ما يجوز من الرقى ، والنهى عن الرقى التى لا يعرف معناها لأنها مظنة الشرك
- ٧ - الآيات التى لها سبب لا تختص بالسبب المعين باتفاق المسلمين
- ٧ - ١٠ الكلام على تنقج المناط وتحقيقه وتخريجه وضرب بعض الأمثلة الفقهية على ذلك .
- ١٠ - ١٨ الأحكام فى الشرع معلقة باسم مسلم وكافر ، ومؤمن بمنافق ، وبروفاجر ، وغير ذلك من الأسماء المذكورة فى القرآن والحديث ، ليس فيهما تخصيص العرب بحكم من أحكام الشريعة ، وبيان جواز استرقاقهم وأخذ الجزية منهم ، وأن ما استخيثوه من الأطعمة ليس بحرام ، وأن اعتبار النسب فى الكفاءة فى الزواج وفى التقديم فى إمامة الصلاة ليس فيه نص صحيح صريح ، ومناقشة المخالفين فى كل ذلك .
- ١٩ - تعقب المصنف فى قوله لم يخص الرسول ﷺ بعض أصحابه بحكم دون سائر أمته
- ١٩ - ٢٠ حكمة تخصيص قريش بالإمامة وتحريم الصدقة على أهل البيت
- ٢٠ ليس لمن نفى وجود الجن من جهال الفلاسفة والأطباء حجة يعتمد عليها
- ٢١ - إجابة الجن للراقى بأسمائهم وأسماء ملوكهم لما فيه من التعظيم لهم
- ٢٢ - ٢٧ الشياطين تقضى أغراض من يتقرب إليهم بما يحبونه من الكفر والشرك ، وذكر أمثلة مما تفعله الشياطين لأوليائهم
- ٢٢ - ٢٣ مجيء الجن إلى رسول الله ﷺ وقراءته القرآن عليهم وسؤالهم إياه الزاد وبيان أن الجن تأكل الطعام

- ٢٤ - مؤمنو الجن هل يدخلون الجنة
- ٢٥ - إمكان التناكح بين الانس والجن وحكمه
- ٢٥ - أسباب صرع الجنى للانس وكيف يدعون لترك ذلك
- ٢٦ - الشيوخ الذين يأوون إلى المقابر والمزابل ومواضع النجاسات هم من الشيوخ التي تقترب بها الشياطين .
- ٢٧ - حكمة النهي عن قتل حيات البيوت
- ٢٧ - ٢٩ تصور الجن في صور شتى ومدى حقيقة قدرة الجن على ذلك
- ٣٠ - ٣١ تلاعب الشيطان بأهل الشرك والضلال وايهامهم بأن هذه الخوارق من كرامات الصالحين
- ٣٢ - الكرامة لا تكون بما يخالف الشرع
- ٣٣ - ٣٤ مشروعية نصر المظلوم الذي تصرعه الشياطين
- ٣٥ - تعقب المصنف في عزوه حديث لأبي دواد وليس فيه
- ٣٥ - حكم مرور شيطان الجن بين يدي المصل
- ٣٦ - معالجة المصروع بالطريق الشرعى لا تُمنع وإن أدت إلى موت طائفة من الجن
- ٣٦ - مقاتلة الجن للمعالجين بالعزائم لظلمهم لهم
- ٣٦ - من سلك من المعالجين الطريق المشروع فإن الجن لا تؤذيه
- ٣٦ - ٣٩ - بيان ما يعتصم به الإنسان من الشياطين ومناقشة الشافعى في قوله « من زعم أنه يرى الجن أبطلنا شهادته الا أن يكون نبيا » .
- ٤٠ - إبراء المصروع فرص على الكفاية مع القدرة
- ٤٠ - ٤٢ - الأحاديث الواردة في كيفية إبراء المصروع . وتعقب المصنف في نسبته حديثا لأبي داود وليس فيه
- ٤٣ - ٤٤ - تعقب المصنف في قوله « إن النبي ﷺ أمر بقتال الترك »
- ٤٥ - جواز ضرب المصروع لإبرائه ودفع الجن عنه
- ٤٥ - لا تجوز الاستعانة على الجن بما يقال ويكتب مما لا يعرف معناه في الشرع وأسباب ذلك
- ٤٦ - ٤٧ سؤال الجن وسؤال من يسألهم على أحوال وحكم كل حالة
- ٤٨ - ٤٩ جواز كتابة شيء من كلام الله وذكره بالمداد المباح وسقيه للمريض بعد غسله

شرح حديث بدأ الإسلام غريباً

٥١ - ٥١ - التقديم للحديث

٥٢ - الإسلام هو الدين الذي جاءت به جميع الرسل ، ولا يجوز تركه بحال

٥٤ - المتمسك بالإسلام زمن الغربة هم أسعد الناس

٥٤ - تعقب الألبانى فى إيراد حديث « طوبى شجرة فى الجنة » فى السلسلة الصحيحة

٥٥ - ما يصيب المسلم من الشر أقل مما يصيب غيره ، وما يصل إليه من النعم أكثر

٥٥ - ما يحصل للمؤمن من أذى الدنيا يعوض عنه عاجلاً من الإيمان وحلاوته ما يحتمل به ذلك الأذى

٥٦ - عند تغير الأحوال وظهور المنكر لا يجوز الجزع والتولى بل يجب عليه الثبات

٥٦ - ٥٧ « ثم يعود غريباً » يحتمل معنيين

٥٧ - بقاء الإسلام غريباً ذليلاً فى الأرض كلها قبل قيام الساعة لا يكون أبداً

٥٧ - ٥٨ - إن الله يبعث لهذه الأمة فى رأس كل مائة سنة من يحدد لها دينها

٥٨ - إذا تغرب الدين احتاج الداعى إليه من الأدلة مثل ما احتجج إليه فى أول الإسلام

٥٩ - قد يتخلف النصر بسبب الذنوب ونقص الدين

٥٩ - ٦١ - الرد على من قال : إن وعده تعالى فى قوله « من یرتد منكم عن دینه

فسوف یأتى الله بقوم یحبهم ویحبونه » خاص بقرن الصحابة

٦٢ - لا تجتمع الأمة على ضلالة

٦٢ - حديث « إن الله لا یقبض العلم انتزاعاً » وتفسیر ما یظن أنه مخالف له

٦٤ - من تكثر فیهم الردة .

٦٥ - قائمة المراجع

إيضاح الدلالة في عموم الرسالة

والنعم قريب يا حيُّ يا قيُّم

ويليه شرح حديث بدأ الإسلام غريباً

لشيخ الإسلام بن تيمية

خرج أحاديثه وعلق عليه

مجتهد الشريعة

